مشتقات (الصّرخ)
في النسق القرآني
دراسةٌ سياقية

محاولة لبناء منهجية تكاملية لتحليل المشتقات

ذات الأصل الواحد في النسق القرآني

إعداد:

د. أحمد عبد الموجود عطية سليمان معوض

مشتقات (الصّرخ) في النسق القرآني دراسةٌ سياقية

محاولة لبناء منهجية تكاملية لتحليل المشتقات ذات الأصل الواحد في النسق القرآني

أحمد عبد الموجود عطية سليمان معوض

قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر

البريد الالكترونى: AhmedMoawad.٢٠٣@azhar.edu.eg

الملخص :

يأتي هذا البحث في مصافّ الدراسات التي تُعنَى بتحليل المشتقات ذات الأصل الواحد في السياقات القرآنية؛ إسهاما في إظهار الدلالات الدقيقة لمفردات القرآن بمنهجية حديثة تقوم على تصور متماسك ومنطقي في فهم النص القرآني.

وإنما كانت نظريةُ السياق بجناحَيها الخارجي والداخلي مُرتكزا أساسيا قام عليه البحث؛ لأنها تستعمل كلّ الأدوات التي تُفضي إلى فقه المعنى واستكشافه داخل النص بدءا من أصغر وحدة في النص وهي الصوت، ومرورا بالوحدة الصغرى وهي الكلمة، وانتهاء بالوحدة الكبرى وهي الجملة في نسق النص القرآني؛ لذا غدتْ نظريةُ السياق في ميدان علم لغة النص نظرية تكاملية بكل ما تعنيه الكلمة.

ولأن البحث يهدف إلى تأسيس منهج تحليلي تكاملي يمكن البناء عليه عند دراسة المشتقات ذات الأصل الواحد في إطار النص القرآني، فقد اقتضت طبيعةُ الموضوع وأهدافُه اتخاذَ المنهج الوصفي التحليلي طريقا تمضي الدراسة عليه، مع الاستئناس أحيانا بآلية الإحصاء وتحليل النتائج، وقد

طبقتُ هذا المنهج مع كلّ موضع بأن حددتُ السياق الخارجي أولا للمقطع القرآني قبل الولوج إلى التحليل اللغوي الذي مرّ بمراحل تبدأ من التحليل التركيبي للجملة موضع الشاهد وعلاقاتها السياقية مع البنى الأخرى في المقطع، ثم التحليل المورفولوجي لكل كلمة من كلمات الجملة موضع الشاهد وتحديد وظائف مورفيماتها، وأخيرا التحليل الصوتي على المستويين الفوناتيكي والفونولوجي.

وقد أثمر اتباعُ المنهجِ السابق نتائج منها: أن الأصل الثلاثي لمادة(ص ر خ) مبني في حقيقته الوضعية حول معنى الصوت مطلقا والصياح خاصة، ودلت تقلباتُه الاشتقاقية حول معنيين متقابلين هما: الإغاثة والاستغاثة، ولم يخل سياقُ الموقف وجوّه في المواضع الأربعة من الفزع والترويع والتحذير والتهديد المشوب بالخوف والقلق وغيرها من المعاني المسبِّبَة للصياح والصراخ.

الكلمات المفتاحية: الصرخ، مشتقات، النسق القرآني، السياقية.

The Derivatives of (Sarkh) in the QuranicContext - Contextual Study

Ahmed Abdel-Mawgoud Attia Suleiman Moawad

Lecturer of the science of language at the Faculty of Arabic Language in Cairo, Al-Azhar University, Egypt.

Email: AhmedMoawad.٢٠٣@azhar.edu.eg

Abstract:

This research comes among the best studies that are meant to analyze the one-root derivative in the Qur'anic contexts. It contributes to illustrating the subtle connotations of the Qur'anic words with a modern methodology based a coherent and logical conception in understanding the Qur'anic text.

The theory of the context, with its outer and inner sides, is an essential foundation for the research as it uses all the tools leading to understanding and exploring the inside of the text, starting with the smallest unit of the text, the sound, passing to the minor unit, the word, and ending with the major unit, the sentence in the context of the Qur'anic text. For that reason, the theory of the context has become an integrated theory, in the full sense of the word, in the linguistics of the text.

As the research aims at founding an integrated analytical approach that can be built upon when studying the one-root derivatives in the Qur'anic text, the nature and the aim of the topic require to apply the descriptive, analytical approach as a course for the study. Sometimes, however, I resort to the statistics and analyzing the results. I applied this approach in each case. I identified the contexts of the Sarkh derivatives proceeding with the linguistic analysis

that starts with the lexical connotation of the root (S-R-Kh). It also includes the structural, morphological, phonetic and the phonological analysis along with the recommendations.

Among the conclusions reached by the study is that the three-letter root of the word S-R-Kh is based on its objective reality regarding the meaning of sound in an absolute sense and crying out in a specific sense. Its variant derivatives indicate two opposite meanings: helping and seeking help. The two meanings are not free from the connotation of crying out in their different contexts. The context of the situations and theirambience in the four positions are not free from the connotation of panic, awe, terrifying, warning and threat covered with fear and anxiety.

Key words: Sarkh, Qur'anic context, derivatives andcontextuality.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه أما بعد

فإن هذا البحث يأتي في مصافّ الدراسات التي تُعنى بتحليل المشتقات ذات الأصل الواحد في السياقات القرآنية؛ إسهاما في إظهار الدلالات الدقيقة لمفردات القرآن، بمنهجية حديثة تقوم على تصور متماسك ومنطقي في فهم النص القرآني.

وقد انتقى البحثُ مشتقات الصرخ، لتميز سياقاتها، وتفرد نسيجيها الصوتي مادة وصيغة، وتنوع مشتقاتها بين الاسمية والفعلية، علاوة على قلة مرات ورودها.

هذا وقد ارتأى البحث معالجة اشتقاقات الصّرخ بتناول جديد يقوم على أسس منهجية في ضوء القرائن السياقية متجاوزا حدود المفردة إلى الجملة التي وردت فيها، بل إلى نسق النص القرآني الذي يجمع تراكيبَه مقصِدٌ واحد؛ ومن ثم جاء عنوان الدراسة: (مشتقات الصرخ في النسق القرآني دراسة سياقية).

وإنما كانت نظريةُ السياق بجناحَيها مُرتكزا أساسيا قام عليه البحث؛ لأنها تُعد من أكثر النظريات اللغوية قدرة على فهم النص اللغوي فهما دقيقا وتحديد دلالة وَحداته؛ إذ إنها تستعمل كلّ الأدوات التي تُفضي إلى فقه المعنى واستكشافه داخل النص، سواء على مستوى أصغر وحدة في النص وهي الصوت، أو على مستوى وحدة الكلمة، أو على مستوى الوحدة الكبرى وهي الجملة؛ حتى غدتْ في ميدان علم لغة النص نظرية تكاملية بكل ما تعنيه الكلمة.

وتكمن إشكالية البحث في محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية

ما دلالة البنية التركيبية التي وردت فيها مشتقات الصرخ شكلا ووظيفة؟ وهل ثمة علاقة أو ترابط بين هذه البنية الكبرى وسائر البنى الأخرى في سياق النص القرآني؟ وما مظاهر تلك العلاقة وذلك الترابط؟ وما دلالة الوحدات الصرفية(المورفيمات) لمشتقات الصرخ في بِنيَتيْها الصغرى والكبرى؟ وهل يمكن أن تؤدي الوحدة الصرفية أكثر من وظيفة دلالية؟ وهل تسدّ مترادفات كلمة الصّرخ مسدها في السياق القرآني؟ وهل تسد أيُّ صيغة من المشتقات مسدّ الأخرى أم أن لكلٍّ سياقها الذي تتجاوب معه فلا تأتي لِفقا له إلا هي؟ وما مدى توظيف أصوات المادة لبيان معناها فسيولوجيا وإدراكيا؟ وهل لسياق الموقف أثر في استكناه وحدات السياق اللغوي وتوجيه معانيها؟

ولأن البحث يهدف إلى تأسيس منهج تحليلي تكاملي يمكن البناء عليه عند دراسة المشتقات ذات الأصل الواحد في إطار النص القرآني، فقد اقتضت طبيعة الموضوع وهدفه اتخاذ المنهج الوصفي التحليلي طريقا تمضي الدراسة عليه، مع الاستئناس أحيانا بآلية الإحصاء وتحليل النتائج.

خطوات تطبيق المنهج: قد تبنّى البحثُ عند تحليل مشتقات الصرخ في كل موضع منهجية عامة ترتكز على أن وحدة التحليل الكلامي هي الجملة وليست الكلمة، وتتلخص في الآتي:

– إثبات نص الآية التي ورد فيها الصرخ في صدر المعالجة، وإثبات سوابقها ولواحقها أحيانا ليكتمل أمام القارئ نصّ لغوي متّحد الموضوع والمقصد، ثُم تحديد الجملة موضِع الشاهد.

– تحديد السياق الخارجي(سياق الموقف) بصفته منتجَ النص اللغوي وحاكمَه، ويعقبه تصويرُ الجو العام للنص القرآني.

–تحليل السياق اللغوي وفيه:

أولا:مناسبة السياق لما قبله.

ثانيا: التحليل التركيبي للجملة موضع الشاهد في ضوء السياق العام ودلالته من خلال محورين: المحور الأول: التحليل التركيبي للجملة في ضوء جمل المقطع القرآني، وقد تم تناوله عبر مرحلتين:

١– توصيف البنية التركيبية للجملة شكلا(باعتبار اسمية الجملة أو فعليتها)، ووظيفة(باعتبار الخبر والإنشاء والإثبات والنفي).

٢– العلاقات السياقية بين بِنية الجملة موضع الشاهد، والبِنى الأخرى في المقطع شكلا ووظيفة.

المحور الثاني: مظاهر ترابط الجملة موضع الشاهد تركيبيا ودلالته ، ومظاهر الترابط بينها وبين جاراتها في إطار المقطع القرآني من مثل: (العطف/حروف النفي/حروف الجر/التكرار المعجمي/التوازي التركيبي/الإحالة بالضمير واسم الموصول/ إذا الفجائية).

ثالثا: التحليل الصرفي للجملة موضع الشاهد في ضوء السياق العام:

وفيه تم تحليل كل كلمة من كلمات الجملة موضع الشاهد على حدة تحليلا مورفولوجيا مستنتجا منها وظائف مورفيماتها ودلالاتها.

رابعا: التحليل الصوتي للمشتقات فوناتيكيا وفونولوجيا في ضوء السياق العام:[1]

الجانب الأول: الدراسة الوصفية لأصوات الصاد والراء والخاء (الفوناتيك)

وفيه تم وصف مخرج كل صوت وإحصاء صفاته وتوزيعها قوة وضعفا، ثم استخلاص النتائج فسيولوجيا: (مدى الانسجام الصوتي بين الأصوات الثلاثة–درجة قوتها أو ضعفها)، وإدراكيا(درجة الوضوح السمعي).

الجانب الثاني: الدراسة الوظيفية لأصوات الصاد والراء والخاء (الفونولوجي)

وفيه تم الكشف عن مدى التناغم بين الأصوات الثلاثة قوة وضعفا ووضوحا سمعيا وترتيبا فونيميا، وبين المعنى المعجمي للصرخ، كما استنتج البحثُ مدى التناسب بين النسيج الصوتي للمشتقات وجرْسها في كل موضع وبين معناها السياقي الذي وردت فيه.

خطة البحث: تتمثل في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهارس:

المقدمة: وهي لأهمية البحث وإشكاليته والدافع إليه والمنهج الذي سار عليه وخطته.

[1] وقد اقتضت طبيعةُ البحث تفصيل القول في الأصوات الثلاثة فوناتيكيا وفونولوجيا في الموضع الأول فقط، وفونولوجيا فقط في المواضع الأخرى.

التمهيد: وتناولت فيه أمرين أولهما: التعريف بنظرية السياق ودورها في كشف المعنى، موضحا آلية تطبيقها على موضوع بحثي؛ لتتعانق النظرية مع التطبيق، والثاني: بينتُ فيه الدلالة المعجمية لمادة(ص ر خ).

المبحث الأول: مشتقات الصرخ في سياق الإغاثة

وجملة المواضع التي عالجتها تحت هذا المبحث موضعان، وقد تكرر فيهما الصرخُ ثلاث مرات في سورتي إبراهيم ويس.

المبحث الثاني: مشتقات الصرخ في سياق الاستغاثة

وجملة المواضع التي عالجتها تحت هذا المبحث موضعان، وتكرر فيهما الصرخ مرتين في سورتي القصص وفاطر.

الخاتمة: وقد جاءت مُوضّحة لأهم النتائج التي توصلتْ إليها الدراسة معجميا وتركيبيا وصرفيا وصوتيا، مع ما توصي به الدراسة.

الفهارس: وتشتمل على ثبْتٍ بأهم المصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

وبعد، فأرجو أن يكون البحثُ قد وفّى لفظُه بمعناه ودنى من مُتناوِلِهِ جَناه، وفي كلٍّ سيبقى محاولةً متواضعة تُسهم في إعادة فهمنا لمشتقات النص القرآني في ضوء نظرية السياق؛ إذ إني قد بذلت وسعي، وأخلصت طاقتي، راجيا أن يكون بحثي جهدا مقبولا في خدمة كتاب الله، وأن ينتفعَ به الناسُ وأنتفع يوم تُجزى كلُّ نفس بما كسبت، والله من وراء القصد.

د. أحمد عبد الموجود عطية معوض

التمهيد:

أ- السياق: نظريةً وتطبيقا وأهمية

ليس من شأن البحث تفصيل القول في نظرية السياق ولا معالجتها بشكل جديد، فقد قامت على ذلك دراسات كثيرة، ولكني أحاول إيجاز ما ذُكر نظريا مع مواءمته بما طبقته في البحث؛ كي تتعانق النظرية مع التطبيق.

مفهوم السياق لغة: السياق مصدر ساق، مأخوذ من مادة(س و ق) التي تدل في أصل معناها على: حدو الشيء، وقد استُعمل اللفظُ في اللغة بمعنى: السرد والتتابع.[1]

السياق (Context)في الاصطلاح: له تعريفات كثيرة من أشملها تعريف كونرد بأنه: المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية وغير اللغوية.[2]

وكذا عرفه الدكتور عبد الرحمن بو درع بأنه: إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها

---

[1] راجع: مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق وضبط أ/ عبد السلام هارون، ط. دار الفكر- القاهرة، ١٩٧٩م، كتاب السين، باب السين والواو وما يثلثهما، مادة (س و ق) ١١٧/٣، أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق: محمد باسل السود، نشر:دار الكتب العلمية- بيروت، الأولى ١٩٩٨م،باب السين، مادة(س و ق) ٤٨٤/١، لسان العرب لابن منظور، تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون، ط. دار المعارف-القاهرة، د.ت ،باب السين مادة(س و ق)٢١٥٣/٣ وما بعدها

[2] نقلا عن: دلالة السياق، إعداد: رَدّة الله الطلحي، رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، ١٤١٨هـ ٤٠/١

وتترابط وبيئة لغوية تداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ. [1]

والتعريفان شاملان إلى حد كبير، ويتفقان في أن السياق يشمل العناصر اللغوية وغير اللغوية، غير أن الأول جعل الوحدة اللغوية تشمل الكلمة والجملة، وركز الثاني على عنصر الربط بين الجمل في إطار النص الواحد.

والناتج من التعريفين هو ما اعتمده البحث وطبقه بدءا من مراعاة الوحدة اللغوية الكبرى(الجملة)، وعلاقاتها السياقية بالوحدة اللغوية الأكبر (النص–المقطع القرآني)عند التحليل التركيبي، ومرورا بالوحدات الصغرى وهي المورفيمات أو المباني الصرفية الحاملة للمعاني الصرفية الوظيفية عند التحليل المورفولوجي ، وانتهاء بالتحليل الفونيمي لمشتقات الصرخ؛ وقوفا على دلالاتها جميعا في إطار المرجعية الراعية للنص اللغوي وهو سياق الحال.

- أنواع السياق:

هناك من قسم السياق أنواعا كثيرة وتفريعات عديدة، لكني أرى أن أوْجه التقسيمات وأدقها وأوجزها، وما عليه كثير من اللغويين[2] هو تقسيم السياق للنوعين الآتيين:

---

[1] أثر السياق في فهم النص القرآني، د. عبد الرحمن بو درع، مجلة الأحياء، المملكة المغربية، العدد ٢٥ ،١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م ص٧٣

[2] وأولهم العالم الإنكليزي فيرث. راجع أسس النظرية السياقية وخواصها الجوهرية في كتاب أستاذنا البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية ==

السياق الخارجي: وهو الموقف المحيط بالحدث الكلامي ويتضمن الغرض العام الذي يساق من أجله النص، وكذا المقام أو الأحوال المصاحبة له كمعرفة حال المتكلم أو السامع أو البيئة العامة التي حدث فيها الكلام أو سبب نزول الآية أو ورود الحديث، ويشمل أيضا مراعاة أحوال المخاطَبين اجتماعيا وثقافيا إلى آخر ذلك من العناصر غير اللغوية التي تساعد في الكشف عن المعنى المراد من النص.

السياق الداخلي(اللغوي): مجموعة الوظائف المستفادة من عناصر أداء المقال التي تحوزها الوحدة اللغوية أي الجملة .[1]

عناصر السياق الداخلي(اللغوي):

يقوم السياق اللغوي على مجموعة من العناصر التي تنهض بوظائف مختلفة في بيان مدلول الكلمة أو الجملة؛ كي يصبح السياق اللغوي بناء متكامل الأركان، وهي عبارة عن:

١- العنصر الصوتي: وحدود تحليله السياقي تبدأ من الوحدة الصوتية(Phoneme) فهي أقل حدود السياق في النص، وأقصاه الكلمة الواحدة وفق اصطلاح النحاة، ويهتم بدراسة الأصوات مخرجا وصفة ونسيجا مقطعيا، ودورها مفردة ومجتمعة في استكشاف المعنى العام.

==

للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق،ط. دار المنار-القاهرة، الأولى ١٩٩١م ٤٨-٥٣

[1] السابق ص٤٩، ٥٨-٦١ بتصرف

٢- العنصر الصرفي: وحدود تحليله السياقي تبدأ من الكلمة وتتمادى إلى الجملة؛ ذلك أن الكلمة في الأغلب تتحد وجودا ومعنى في إطار الجملة، ويهتم بدلالة مورفيمات الصيغة حرة أو مقيدة سابقة أو لاحقة من خلال الجملة والسياق العام.

٣-العنصر النحوي: وحدود تحليله السياقي تبدأ من الجملة وتتمادى إلى النص المتكون من عدة جمل، ويهتم بدراسة الهيئة التركيبية للبنية النحوية ووظيفتها، وعلاقتها بالتراكيب الأخرى في إطار النص وسياقه العام.

٤-العنصر المعجمي: وحدود تحليله السياقي هو العلاقات البنيوية الأفقية بين المفردات بوصفها وحدات معجمية دلالية؛ ومن ثم فهو يهتم بدراسة المعنى الوضعي للمفردات.[١]

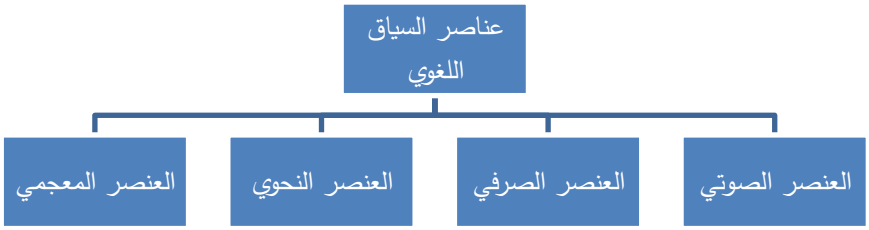

[١] راجع: دلالة السياق د.ردة الله ص٤٢، أثر السياق في دلالة الصيغة الصرفية في القرآن الكريم إعداد: مروة عباس حسن، رسالة ماجستير في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة ديالي ٢٠١٣م ص٢٠، ولم أُضف العنصر الدلالي؛ إذ إن كل عنصر من العناصر الأربعة (عناصر المنطوق) يؤدي دلالة معينة في إطار الموقف الخارجي، فليس هناك داع لإفراده بالذكر.

وقد قام البحث بتطبيق جناحي نظرية السياق على النحو الآتي:

أولا: السياق الخارجي

قد استقاه البحث من مَعِينين يُعينان في فهم مراد النص الكريم:

أولهما: سبب النزول، فمعرفة سبب النزول طريق مهم في فهم معاني القرآن، وقد اعتمدته في موضعي إبراهيم وفاطر.

وثانيهما: الوقوف على المقصد العام الذي سيقت آيات المقطع القرآني لأجله، وأحوال المخاطَبين به، وقد اعتمدته في موضعي القصص ويس.

ثانيا: السياق الداخلي(اللغوي):

وقد عالجه البحث –بعد بيان الدلالة المعجمية لمادة(ص ر خ) – من زاويتين:

البنية الكبرى: حيث قام البحث بتحليل الهيئة التركيبية للوحدة اللغوية الكبرى (الجملة موضع الشاهد) في ضوء الوحدة الأكبر (النص القرآني)؛ إبرازا للعلاقات السياقية والدلالية بينهما شكلا ووظيفة، وكشفا لأوجه التماسك النصي في ضوء السياق العام.

البنية الصغرى: حيث قام البحث بتحليلها على مرحلتين أولاهما: التحليل المورفولوجي للكلمات المكوّنة للجملة موضع الشاهد ودلالات كل مورفيم. وثانيهما: تحليل الوحدات الصوتية (الفونيمات) لمشتقات الصرخ ودلالاتها مخرجا وصفة ونسيجا صوتيا.

نظرية السياق ودورها في كشف المعنى:

– تُعد نظريةُ السياق بشقّيها الحالي والمقالي نظرية فاعلة في بيان المعنى، بل لها المرجعية الأولى، والحاكمية المطلقة في كشف غموض مفردات النص وحسم التعارض بين معانيها عند تَنازع اللفظة أو الجملة أكثر من معنى.

– أرشد ابن القيم إلى أهم مميزات تطبيق نظرية السياق وخطورة تجاهلها فقال:" "السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة. وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم؛ فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته."[1]

– كشف د. محمد حماسة عن دور السياق على مستوى التراكيب فقال: "السياق على أي نحو متضمّن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما، ولا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم.[2]

– السياق بجناحيه مُكوّن رئيس لفهم القرآن الكريم، يقول الشيخ محمد رضا:"والأحسن أن يُفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يُجمع ما تكرر في مواضع منه، ويُنظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة...، وإن أفضل قرينة

---

[1] بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، نشر دار الكتاب العربي– بيروت، د.ت ٩/٤

[2] النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي د. محمد حماسة عبد اللطيف ط.دار الشروق–القاهرة ،الأولى ٢٠٠٠م ص٩٨

تقوم على حقيقة معنى اللفظ: موافقته لما سبق له من القول واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته."[1]

ب- الدلالة المعجمية لمادة(ص ر خ)

بتتبع المعاجم اللغوية التي تُعْنى ببيان الجذر الأصلي للمادة يتبين لك أن "الصاد والراء والخاء أُصيل يدل على صوت رفيع، ومن ذلك الصُّراخ، يُقال: صرخ يصرُخ، وهو إذا صوّت. ويقال: الصّارخ: المستغيث، والصّارخ: المُغيث، ويقال بل المغيث: مصرِخ."[2]

وفي العين:"الصرخة: صيحة شديدة عند فزعة أو مصيبة ، والصريخ الذي يأتي قوما يستغيث بهم عند غارة، أو ينعى لهم ميتا، والمستصرخ: المستغيث، والمصرِخ: المغيث، والاصطراخ: التصارخ، والصريخ: المفزع والمعين، وأصرختهم:أعنتهم."[3]

والصُّراخ: الصوت مطلقا أو شديده، والصَّارِخ: المُغِيثُ، والمُستَغيث، ضِدٌّ، قاله ابنُ القَطّاع، وقيل الصَّارِخ: المستغيثُ والمُصْرِخ المُغِيث. قال الأَزهريّ: ولم أَسمع لغير الأَصمعيّ في الصارخ أَن يكون بمعنى المُغِيث. قال: والنّاسُ كلُّهم على أَنَّ الصارخَ المُستغِيثُ والمصْرِخَ المُغيثُ، كالصَّرْيخ

---

[1] ينظر:تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ، ط.دار المنار –القاهرة، الثانية ١٩٤٧م ص ٢٢

[2] مقاييس اللغة ، كتاب الصاد، باب الصاد والراء وما يثلثهما، مادة (ص ر خ) ٣٤٨/٣

[3] العين للخليل بن أحمد، تحقيق د. مهدي مخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دون طبعة، ودون تاريخ، حرف الخاء، باب الثلاثي الصحيح(الخاء والصاد والراء معهما)، مادة ص ر خ ١٨٥/٤

فيهما، أَي في المغيث والمستغيث، فهو من الأَضداد أَيضاً، الصَّريخ: قد يكون فَعِيلاً بمعنَى مُفْعِل مثل نَذير بِمعنى مُنذِر، وسَمِيع بمعنى مُسمِع. ونُقل عن أَرباب المعانِي: الصُّراخ: الصِّياحُ، ثم تُجُوّز به عن الاستغاثة، إِذ لا يَخلو منه غالباً ، ثم صار حقيقةً عُرفِيّةً فيه. والتصرُّخ: تكلّف الصُّراخ. ويقال: استصرَخَني فأَصْرَختُه، أي أغثتُه، وقيل: الهمزة للسلب، أي أزلتُ صُراخَه."[1]

مما سبق من دلالة المادة اللغوية (ص ر خ) ومشتقاتها يتبين الآتي:

أولا: يدل الأصل الثلاثي للفظ في حقيقته الوضعية المجردة على الصوت مطلقا رفيعا كان أم شديدا، دون تقييدٍ بعلة صدور هذا الصوت.

ثانيا: اشتقت من اللفظ بدلالته الوضعية ألفاظ أخرى ترتبط ترتيبا ومعنى مع الأصل المشتق منه، وهي على النحو الآتي:

***دلالة الفعل الثلاثي المجرد(صرَخَ) وما اشتق منه:**

صرخ: يدل على أصل معنى الجذر وهو مطلق إصدار الصوت، فمعنى: صرخ الشخص أو الطفل: صاحَ وصوّت أي أصدر صوتا.

[1] ينظر بتصرف: تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق أ/عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٩٤م باب الخاء، فصل الصاد المهملة مع الخاء المعجمة، مادة (ص ر خ) ٧/٢٩٠-٢٩٢

الصُّراخ: مصدر صَرَخَ يقال: صَرَخَ فلانٌ يَصْرُخ صُرَاخاً، وهو: الصوت مطلقا وقيل: الصّياح، وقيل: أصل الصراخ رفع الصوت[1]؛ لذا فالصّرخة: صيحة شديدة تصيب الإنسان عند فزعة أو مصيبة.

الصّارخ: اسم فاعل من الفعل الثلاثي المجرد(صرخَ) وهو من الأضداد يُستخدم للدلالة على معنيين متقابلين هما: المغيث والمستغيث[2]، وقيل: هو المستغيث فقط.

الصريخ: على وزن (فعيل) وتستعمل صيغة مبالغة، وهي من الأضداد أيضا فقد تدل على المستغيث الذي يأتي قوما يستغيث بهم عند غارة مثلا، كما تُستعمل كثيرا فَعِيلاً بمعنَى مُفْعِل وهو: المغيث أو المفزِع أو المعين.[3]

***دلالة الفعل الثلاثي المزيد**

المزيد بحرف(أصرَخَ): أغاث وأعانَ، وأصرخْتُ الرجلَ إصراخا: إذا أغثتُه، والمصرِخ: المغيث المعين.

---

[1] قال أبو الطيب: وأصل الصُّراخ رفع الصوت. قال أبو حاتم، قلت للأصمعي: أيُقال صَرَخَ الطاووس؟ فقال: أقول لكل شيء رفعَ صوتَه قد صَرَخ. ينظر: ثلاث كتب في الأضداد ص١٠٥،١٠٦، الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي تحقيق د. عزة حسن ط. المجمع العلمي بدمشق ، الثانية ١٩٩٦ ص٢٧٦

[2] ينظر:الأضداد لقطرب تحقيق د. حنا حداد، ط.دار العلوم بالسعودية، الأولى ١٩٨٤م، ص١٣٨، ثلاث كتب في الأضداد نشر د. اوغست هَفْنِر، ط. المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩١٢م ص٥٣،٥٤

[3] السابقان نفسهما.ويقال في مثل للعرب: (عبْدٌ صريخُهُ أمَةٌ)، أي مُغيثه وناصره؛ يُضرَب للذليل يستعين بمن هو أذل منه. ينظر: الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي ص٢٧٦

المزيد بثلاثة أحرف(استصرخ): استغاث، والمستصرِخ: المستغيث، واستُصرِخَ الإنسانُ: إذا أَتاه الصَّارخ، وهو الصَّوتُ يُعلِمه بأَمرٍ حادِثٍ يَستَعِينُ به عليه، أَو يَنْعَى له مَيتاً، واستَصْرَخْتَه: إذا حَمَلْتَه على الصُّرَاخ، ويقال: استصرَخَني فأَصْرَخْتُه ، أَي أَغَثْتُه.[1]

[1] تاج العروس، باب الخاء، فصل الصاد المهملة مع الخاء المعجمة، مادة (ص ر خ) ٢٩٠/٧-٢٩٢

المبحث الأول: مشتقات الصرخ في سياق الإغاثة

جملة المواضع التي ستتم معالجتها تحت هذا المبحث موضعان، وقد تكرر فيهما الصرخ ثلاث مرات في سورتي إبراهيم ويس[1]

الموضع الأول:

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢ ﴾

موضع الشاهد: بمُصْرخكم- بمُصرخي في الجملتين: ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ ﴾

[1] راجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي ط.دار الكتب المصرية-القاهرة ١٣٦٤هـ، باب الصاد-مادة(ص ر خ) ص٤٠٧

السياق الخارجي(سياق الموقف)[1]:

إذا قضى الله بين الخلائق يوم القيامة ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقوم خطيبان يوم القيامة على رؤوس الناس: إبليس ، وعيسى بن مريم؛ فأما إبليس فيُوضع له منبر من نار ويجتمع عليه حزبه من الكفار باللائمة، فيقوم خطيبا فيثور من مجلسه أنتن ريح شمها أحدٌ فيقول لهم: (إن الله وعدكم وعد الحق)إلى قوله: (إني كفرت بما أشركتمون من قبل)، وأما عيسى عليه السلام فيقول:(ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم) إلى قوله: (إنك أنت العزيز الحكيم).[2]

الجو العام:

جو مَفزِع مَهيب شديد الارتجاف ؛ ولا غرو فهو يصور هول حزب الشيطان من خلوده الأدبي المنتظر، بُعيد العرض والقضاء وتصادر فريقي

---

[1] وينبغي التنبيه بداية إلى أن السياق الخارجي لا يقتصر على سبب نزول الآية وإنما يتسع–كما ذكرت في التمهيد– ليشمل الظرف الخارجي الذي قيل فيه الكلام، والغرض العام الذي يُساق من أجله الكلام، ويندرج تحته أيضا:المقام أو الأحوال المصاحبة للحديث كمعرفة حال المتكلم وحال المخاطبين ، كما يشمل الظروف الاجتماعية والثقافية التي تكون سائدة في المجتمع والبيئة العامة، وغير ذلك مما يسمى بالعناصر غير اللغوية. راجع: دلالة السياق د.البركاوي ص٥٨–٦٦

[2] ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري تحقيق د.عبد الله التركي ط.دار هجر–الجيزة، الأولى ٢٠٠١م ٦٢٨/١٣–٦٣٢، معالم التنزيل للبغوي، تحقيق:محمد النمر وآخرين ، ط.دار طيبة – الرياض،١٤١١هـ ٣٤٥/٤، الدر المنثور في التفسير بالمأثور تحقيق د. عبد الله التركي وآخرين ، دون طبعة، القاهرة، الأولى ٢٠٠٣م ٥٠٧/٨–٥٠٨

الجنة والنار، يتخلله تنازع الأشقياء وتلاومهم وتقريع بعضهم بعضا أملا في مَنجى، وهيهات فأملهم يخيب حيث إعلان كبيرهم تبرؤه وعجزه.

السياق اللغوي لنظم الآية:

أولا: مناسبة السياق لما قبله

لما تقدم وعيد الكافر، وصفة يوم الحشر، وما يجري فيه من الجدال بين الأتباع والمتبوعين،عقب ذلك بكلام الشيطان في ذلك اليوم لأتباعه:(وقال الشيطان لما قضي الأمر...) ؛ فالمناسبة جلية في استمرارية محاورة الأتباع لرؤسائهم من الكفار؛ لاشتراك الرؤساء والشياطين في التلبس بالإضلال، وقد خُصّ الشيطان بالإفراد؛ لأنه أعظم المستكبرين. [1]

ثانيا: التحليل التركيبي للجملتين موضعي الشاهد في ضوء السياق العام ودلالته:

يمكن تحليل البنية التركيبية للجملتين موضعي الشاهد: (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) من خلال محورين:

المحور الأول: التحليل التركيبي للجملتين في ضوء جمل الآية الكريمة

ويمكن تناول هذا المحور عبر مرحلتين:

---

[1] ينظر: مجمع البيان للطبرسي ط.دار العلوم- بيروت، الأولى ٢٠٠٥م ٥٤/٦، البحر المحيط لأبي حيان تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخر ، ط. دار الكتب العلمية- بيروت، الأولى ١٩٩٣م ٤٠٨/٥، نظم الدرر ط. دار الكتاب الإسلامي – القاهرة، د.ت ٤٠٦/١٠ بتصرف

الأولى: توصيف البنية التركيبية للجملتين شكلا ووظيفة

أ- **من حيث الشكل**[1]: الجملتان اسميتان، عطفت الثانية منهما على الأولى، وكل جملة مكونة من مبتدأ: (أنا- أنتم)، وخبر مجرور لفظا بالباء مرفوع محلا: (بمصرِخكم-بمصرخيّ)[2].

ب- **من حيث الوظيفة:** الجملتان من الوحدات النحوية التركيبية الخبرية[3]؛ ومن ثم فهما باعتبار الخبر والإنشاء: جملتان خبريتان، وباعتبار الإثبات والنفي: منفيتان.

---

[1] في تصوري أن تقسيم النحويين الجملة إلى اسمية وفعلية لا يعدو كونه تقسيما شكليا؛ ذاك أن دلالة الحدوث والثبوت ليست دلالة الجملة وإنما هي دلالة الفعل والاسم اللذين تتصدر بهما الجملةُ، وهذا يُستوحى من كلام الشيخ عبد القاهر الذي انطلق -عند التفرقة بين جملة اسمية وجملة فعلية- من دلالة الاسم والفعل نفسيهما فقال: إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء؛ فإذا قلت: (زيد منطلق) فقد أثبت الانطلاق فعلا له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئا .... وأما الفعلُ فإنه يُقْصَدُ فيه إلى ذلك. ينظر: دلائل الإعجاز تعليق:محمود محمد شاكر، ط. الخانجي- القاهرة، د.ت ص١٧٤، مظاهر التناسب الدلالي والترابط النصي في قصة صاحب الجنتين د.حمدي الهدهد، دار دجلة ناشرون وموزعون – الأردن ، الأولى ٢٠٢٠م ص١٠٩

[2] ينظر: التفصيل في إعراب آيات التنزيل د.عبداللطيف الخطيب وآخران، ط. مكتبة الخطيب- الكويت، الأولى ٢٠١٥م ٢٥٠/١٣

[3] معلوم أن الوحدات النحوية منها ما هو إفرادي(وحدات نحوية إفرادية) ومنها ما هو تركيبي(وحدات نحوية تركيبية)، والوحدات التركيبية تنقسم وفقا لعلاقتها بالمتكلم أو ==

الثانية: العلاقات السياقية بين بنية الجملتين موضعي الشاهد، والبِنى الأخرى شكلا ووظيفة:

أ-من حيث الشكل: بلغت كل جمل الآية الكريمة ثماني عشرة جملة[1]، وكان جلّها جملا فعلية تتناسب مع أسلوب سرد إبليس أخبارا حدثت بينه وبين أتباعه منذ أن وعدهم الله ووعدهم هو، وما تسبب عن ذلك من نتائج تنتهي بتنصله من تبعات عبادتهم إياه:(كفرت بما أشركتموني...).

بينما تأتي الجمل الاسمية الست -ومنها موضع الشاهد- ؛ لتفيد ثبوت المسند للمسند إليه على سبيل الدوام إقرارا لأمور ثابتة هي بمثابة القوانين الإلهية التي لا تتغير، فقوله: (ما أنا بمصرخكم-ما أنتم بمصرخي) يفيد ثبوت عدم الإصراخ ودوامه في كل وقت وزمن، "وآثر الجملة الاسمية مبالغة في بيان عدم إصراخه إياهم وإصراخهم إياه، وإيذانا بأنه أيضا مُبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج إلى الإصراخ فكيف من إصراخ الغير"[2]، ولو أنه عبر بالجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث لأفاد عدم الإنقاذ بشكل مستمر

==

المخاطب إلى قسمين: الوحدات النحوية الإنشائية، والوحدات النحوية الخبرية. راجع ذلك في دلالة السياق د.البركاوي ص٢٢٦-٢٣٣

[1] بلغ عدد الجمل الاسمية ست جمل هي: (إن الله...-ما أنا بمصرخكم-ما أنتم بمصرخي-إني...-إن الظالمين...-لهم عذاب...)، وبلغت الجمل الفعلية اثنتي عشرة جملة هي: (قال الشيطان-قضي الأمر-وعدكم...-ووعدتكم-فأخلفتكم-وما كان-دعوتكم -فاستجبتم لي- فلا تلوموني-ولوموا-كفرت-أشركتموني).

[2] ينظر:إرشاد العقل السليم لأبي السعود نشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، د.ت ٤٢،٤٣/٥

لكنه متقطع؛ أي أن نفي الإصراخ في فترات معينة وليس دائما، لكن المراد"استمرار النفي لا نفي الاستمرار."[1]

ويمكن التركيز على بعض الدلالات الفرعية للجملة الاسمية؛ أعني دلالة التوكيد:

– يمكن الكشف عن دلالة التوكيد على مستوى الجملتين موضعي الشاهد، وعلى مستوى الآية الكريمة كلها على النحو الآتي:

– دلالة التوكيد في الجملتين

تظهر دلالة التوكيد في تركيب الجملتين :(ما أنا بمصرخكم، وما أنتم بمصرخيّ) أولا من طبيعة الجملة الاسمية نفسها التي هي من طرائق التوكيد؛ ومن ثم إذا سيقت في مقامات الحوار والمناظرة كانت عاملا رئيسا في صقل العبارة وإكسابها مزيدا من القوة والتأثير.[2]

[1] روح المعاني ط.دار إحياء التراث العربي– بيروت، د.ت ٢٠٩/١٣

[2] ويقول الإمام عبد القاهر: تقديمَ المحدَّثِ عنه يَقْتضي تأكيدَ الخبرِ وتحقيقَه له، وإذا تأملنا وجدْنا هذا الضربَ منَ الكلام يجيءُ فيما سَبق فيه إنكارٌ من مُنْكرٍ. انظر: دلائل الإعجاز ص١٣٣، دلالات التراكيب دراسة بلاغية د. محمد أبو موسى نشر:مكتبة وهبة– القاهرة، الثانية ١٩٨٧م ص ٧٤

وعلاوة على ذلك فإن ملمح الإسناد أو التعلق في الجملة شكل عنصرا معنويا كاشفا عن المعنى النحوي ودالا عليه[1]. تأمل نظام ترتيب الجملتين وملمح الإسناد فيهما:

نفي(ما) + ضمير منفصل (أنا- أنتم) + حرف جر(الباء) + اسم الفاعل مضافا إلى ضميري خطاب ومتكلم (مصرخكم-مصرخي).

وتقديم المسند إليه (أنا-أنتم) على المسند المشتق: (بمصرخكم-بمصرخي) في سياق نفي(ما)، لإفادةٍ تُقوي الحكم وهي المبالغة في انتفاء إنقاذ إبليس أتباعه والعكس[2]؛ لذا فهو أبلغ من: (ما أُصرخكم وما تُصرخوني) لاشتمال التعبير القرآني تكررَ النسبة أي تكرر إسناد نفي الإنقاذ إلى الشيطان مرتين وإلى المتبوعين مرتين؛ مرة على اعتبار إسناد نفي الإصراخ إلى الضميرين البارزين: (أنا- أنتم)، ومرة على اعتبار إسناد نفي الإصراخ إلى الضمير المستتر في اسمي الفاعل: (بمصرخكم-بمصرخِيّ)، فكان ذلك أبعد للمتبوعين من الشك، بل جرى مجرى تكرير الإعلام في التقوية والإحكام.

وأخيرا فدخول الباء على الخبر: (بمصرخكم-بمصرخي) أثر في المعنى أيضا على سبيل التوكيد؛ ومن ثم يمكن القول بأن إبليس اعتمد في الجملتين طرائق مختلفة لتوكيد كلامه قطعا لكل سبيل أمام أتباعه.

---

[1] راجع موضوع الملامح النحوية البديلة للإعراب في خصائص ابن جني تحقيق: محمد علي النجار ط.الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة، ٢٠٠٦م ١/٣٦،٣٥، وانظر أيضا: دلالة السياق د. البركاوي ص٢٥٥-٢٥٨

[2] وسياق الموقف هو الذي حدد دلالة التوكيد دون الاختصاص لمناسبة التوكيد حال المخاطب.

- دلالة التوكيد في الآية كلها

علاوة على التوكيد المستفاد من الجملتين: (ما أنا بمصرخكم، وما أنتم بمصرخيّ) فقد أُكدت الجمل الاسمية الأربعة الأخرى في الآية: ثلاثة منها بأداة توكيد مباشرة: إن الله وعدكم...، إني كفرتُ...- إن الظالمين...، والرابعة: لهم عذاب... بطريق التخصيص أو القصر.

أقول: إن شيوع التوكيد في كلام إبليس على هذا النحو واستهلاله به خطبته: (إن الله وعدكم...) وتذييلها: (إن الظالمين لهم عذاب أليم) [1] مناسب لمقام المجادلة ودفع التهمة عن نفسه، والتبرؤ التام، وقد لجأ الشيطان لهذا الأسلوب حين تعلق أتباعه به استدفاعا لما غشيهم من العذاب، فأراد ألا يكون كلامُه مظنةَ إنكارٍ منهم، كما أن شيوع التوكيد على هذا النحو شكل من أشكال التماسك الداخلي والتآخي النظمي في الآية الكريمة.

ب-من حيث الوظيفة:

- باعتبار الخبر والإنشاء

الجملتان موضعا الشاهد خبريتان، والجمل الأخرى في الآية الكريمة خبرية عدا جملتين فقط[2]، وشيوع الأسلوب الخبري يتناسب في مقصوده الأعمّ مع قصّ الذكر الحكيم أخبارا غيبية للمخاطَبين أخْلاء الذهن ؛ من

---

[1] ومعلوم أن عدّ الجملة الأخيرة: (وإن الظالمين لهم عذاب أليم) تتمة لكلام الشيطان، أو ابتداء وعيد من جهة الله أمرٌ مختلف فيه. راجع الكشاف تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وآخر، ط. مكتبة العبيكان-السعودية، الأولى ١٩٩٨م ٣٧٦/٣، مجمع البيان ٥٥/٦، البحر ٤٠٩/٥، تفسير أبي السعود ٤٣/٥.

[2] وهما: فلا تلوموني-لوموا أنفسكم

تصوير مشهد وقوف الخلائق بين يدي الله والملاسنة بين الرؤساء والأتباع، تحذيرا للناس عامة وتهديدا لقريش خاصة.

وعلى مستوى المشهد الخاصّ بين إبليس وأتباعه، فإن سوقَ الجملتين موضعي الشاهد وجلَّ الجمل الأخرى في الآية من النوع الخبري المؤكّد بوسائل شتى- على خلاف مقتضى الظاهر تنزيلا للمخاطَبين من أتباعه منزلة المخالفين المنكرين-؛ إقناعا لهم وبرهانا لعدم كونه ملاذهم؛ أي أن الجملة الخبرية هنا ظهرت في شكل حِجاج.

- باعتبار النفي والإثبات[1]

سيقت الجملتان منفيتين بـ(ما) رغم شيوع الجمل المثبتة في الآية الكريمة التي تخبر أحداثا وتُثبت وقائع، ولا تنفي شيئا إلا لفائدة معنوية تتطابق ومقتضى حال المخاطَب كأن ينتابه التردد، أو يساوره الشك؛ ذاك أن النفيَ من الوحدات النحوية التركيبية الخبرية المتعلقة بمُعتقَد المخاطَب من موضوع الحديث.

وقد تسلطَ النفيُ في جملتي الشاهد: (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) على اسم الفاعل الذي ليس مقيدا بزمان؛ فشمل النفي جميع الأزمان، وهذا التركيب يناسب الموقف أيما مناسبة؛ لأنه يُفصِح عن دواخل نفس المخاطَبين المترقِّبين أي وسيلة للإصراخ والإغاثة، فأراد المخاطِب(إبليسُ) تيئيسهم وقطع الطريق أمامهم بالنفي القاطع[2].

---

[1] النفي والإثبات من أضرب الأسلوب الخبري، ويتنوع الكلام بينهما، ولكل منهما دلالاته.

[2] وصدق الله حيث يقول: (وكان الشيطان للإنسان خذولا). الفرقان/٢٩

المحور الثاني: مظاهر الترابط التركيبي والدلالي للجملتين موضعي الشاهد

من الضروري في نمط الجملة العربية أن تشتملَ على قرائن تمنعُ تفككَ أواصر الكلام أو دخولَه في غيابات الغموض ومتاهات اللبس وغير ذلك من آفات الاتصال والفوضى السياقية؛ قصدا إلى أن تكون التراكيب ومفرداتها مترابطة واضحة الانتماء.[1]

في الآية الكريمة ترتبط الجملتان موضعا الشاهد ببعضهما، كما ترتبطان بأخواتهما تركيبيا ودلاليا، ومن قبل ذلك ففي كل جملة على حدة مظهر من مظاهر الترابط على النحو الآتي:

مظاهر الترابط التركيبي على مستوى كل جملة من الجملتين ودلالته

قد تحقق هذا الترابط التركيبي وتشكَّل المعنى الاتصالي لكل جملة على حدة عن طريق أداتين هما: أداة النفي وأداة الجر.

-الربط بحرف النفي(ما) ودلالته:

سِيق حرفُ النفي(ما) في صدر الجملة كأداة ربط على مستوى الجملة الواحدة؛ لأنه أثر على معنى الجملة، عندما حولها من إثبات إلى نفي، ونفى كل ما في حيزها كما سبق بيانه. يقول د. تمام حسان: كل أداة داخلة على جملة لإفادة معنى الجملة فهي رابطة تَقْوَى بها الصلة بين كل المفردات

[1] ينظر: البيان في روائع القرآن د.تمام حسان ، نشر: عالم الكتب-القاهرة، الأولى ١٩٩٣م ١/١٠٧-١٠٩ بتصرف.

الداخلة في حيزها يصدق ذلك على النفي وعلى الأمر باللام والنهي والاستفهام والشرط والقسم والتعجب إلخ.[١]

-الربط بحرف الجر(الباء) ودلالته:

تُعد حروفُ الجر إحدى الوسائل التي تُسهم في ترابط النص؛ إذ إنها حروف لا يظهر معناها إلا مع غيرها، ومن ثم فدلالتها حال استقلالها مبهمة لا تتضح إلا في إطار تركيبي نصي.[٢]

ولأن حروف الجر من حروف المعانى؛ فإنها دوما مرتبطة بغيرها ومتعلقة به، وورودها في أي تركيب لابد أن يتضمن معنى، لكنها لا تملك شخصية مستقلة في تأدية المعنى؛ لذا يُستقى هذا المعنى ويظهر من خلال التركيب الذي ترد فيه.

وبناء على ما سبق فحرف الباء -في الجملتين موضعي الشاهد- حقق وظيفتين، الأولى: وظيفة تركيبية في أنه ربط ما بعده (الخبر) بما قبله (المبتدأ)، والثانية: وظيفة دلالية في أنه أثر في المعنى وأفاد فضلَ تأكيدٍ وبيان في انتفاء إصراخ كلٍّ فريق للآخر بقرينة السياق اللغوي وبمعونة السياق الخارجي.[٣]

---

[١] البيان في روائع القرآن ص١٣٥

[٢] مظاهر التناسب الدلالي والترابط النصي ص١٥٥

[٣] وأكثر مواقع (ما) النافية في القرآن زيدت الباء بعدها في الخبر؛ ذاك أن الباء تدخل في خبر(ما)عند الحجازيين وعند تميم على السواء، وسواء كانت(ما) حجازية أو تميمية فالباء داخلة في خبرها زائدة. ينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي تحقيق: أحمد الخراط، ط. مجمع اللغة العربية – دمشق، د.ت ص١٤٨، الجنى الداني للحسن بن ==

مظاهر الترابط التركيبي بين الجملتين موضعي الشاهد ودلالته

قد تحقق هذا الترابط النصي بين الجملتين بأساليب ثلاثة هي: العطف، والتكرار المعجمي، والتوازي التركيبي، ولكل أسلوب قيمته ودلالته كما سيأتي:

١- الربط بالعطف ودلالته

تعد وسيلةُ العطف من أهم وسائل الترابط النصيّ، وحروفُ العطف لها دلالات لكنها لا تظهر إلا من خلال حضورها في إطار نصي[١]؛ ودلالاتها في أنها تربط بين المتعاطفين من جهة التشريك أو الترتيب والتعقيب أو التراخي...إلخ[٢].

وقد عطف النسقُ القرآني بين الجملتين موضعي الشاهد بواو العطف[٣] الدالة على الجمع والتشريك: **(ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي)** قصدا إلى استقصاء عدم غناء أحدهما عن الآخر كما قال ابن عاشور.[١]

==

قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد فاضل، ط. دار الكتب العلمية- بيروت، الأولى ١٩٩٢م ص٥٣،٥٤، دراسات لأسلوب القرآن د.محمد عبد الخالق عضيمه، ط. دار الحديث- القاهرة، د.ت ١١٨/٣ ومصطلح الزيادة عند النحاة لا يعنى البتة إمكانية طرحها والاستغناء عنها، وإنما تعني أن دخولها لم يغير الخبر وموقعه الإعرابي، فزيادتها ليست زيادة معنوية، وإنما زيادة بمعنى تحويل آخر لبنية الجملة عن نظامها المعتاد.

[١] مظاهر التناسب الدلالي والترابط النصي ص١٥٠

[٢] البيان في روائع القرآن ١٤٠/١

[٣] والواو إما أن تكون عاطفة أو ابتدائية، وإذا جاءت عاطفة فهي أم باب حروف العطف لكثرة مجالها فيه، وهي تدل على الجمع والتشريك، والمراد بالتشريك أنها تشرك المعطوفين

==

والعطف بالواو قد شاع بين جمل الآية نفسها، وبين الآية والتي قبلها حتى بلغ خمس مرات، وكذا ورد العطف بالفاء ثلاث مرات، ومعلوم أن الواو والفاء وحدتان نحويتان إفراديتان تعمل كل منهما على تماسك عناصر الجملة، وترابط عناصر النص.

٢-الربط بالتكرار المعجمي ودلالته

يطلق مصطلح التكرار على الإعادة المباشرة لعناصر النص، وهو من الأساليب التي تُستخدم من أجل الإلحاح على الارتباطات القائمة بين عناصر المحتوى أو بين تشكيلاته في إطار النص.[٢] والتكرار قسمه بعض المحدثين إلى نوعين: الأول: التكرار المباشر للعنصر المعجمي (The direct repetition) وبعضهم يطلق عليه الإعادة الصريحة، وهو: إعادة الكلمات أو التعبيرات نفسها دون تغيير، وهو أكثر أنواع التكرر بروزا ووضوحا. الثاني: التكرار الجزئي: (Partial repetition) وينطوي على

==

في اللفظ والمعنى، أو في الإعراب والحكم، ولا تخلو عن هذين المعنيين في عطف المفردات ،فإن عطفت جملة على جملة لم يلزم التشريك في اللفظ ولا في المعنى، ولكن في الكلام خاصة، ليُعلم أن الكلامين فأكثر في زمان واحد أو في قصد واحد، وقد اختلف النحويون في إفادة الواو معنى الترتيب، فلا تعطي الترتيب عند البصريين، وعند الكوفيين أنها تعطي الترتيب كالفاء. وإذا جاءت ابتدائية فإنها تكون لابتداء الكلام واستئنافه ومعنى ذلك: أن ما بعدها لا يرتبط بما قبلها لفظا ولا معنى. ينظر: رصف المباني ص٤١٠ وما بعدها، الجنى الداني ص١٥٨-١٦٠، ١٦٣

[١] التحرير والتنوير لابن عاشور ط.الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤م ٢٢٠/١٣

[٢] ينظر: مدخل إلى علم لغة النص د. علي خليل حمد، د. إلهام أبو غزالة، مطبعة دار الكاتب- مصر، الأولى ١٩٩٢م ص٨١، ٩١

استعمال المكونات الأساسية للكلمة (الجذر الصرفي) مع نقلها إلى فئة كلمات أخرى.[1]

وقد اعتمد النسق القرآني الربط بين الجملتين المتعاطفتين عن طريق التكرار المباشر للعنصر المعجمي(مُصرِخ) هكذا: (ما أنا بِمُصْرخكم وما أنتم بِمُصْرخي) رغم أنه يصح –معنويا– الربطُ دون إعادة الجار(الباء) والمجرور(اسم الفاعل)، ودون ذكر المضاف إليه(ياء المتكلم)هكذا: (ما أنا بمصرخكم وما أنتم) .

ولأن التكرر يُستعمل من أجل تقرير وجهة نظر معينة وتوكيدها، ويحدث في المواقف التي يكون لاستقرار المحتوى ودقته فيها عواقب عملية ذات شأن[2]؛ كان الربط بإعادة اللفظ–وهو الأصل في الربط–مع غير طول الفاصل مناسبا للمقام أيما مناسبة؛ ففيه تقرير وجهة نظر إبليس بالتأكيد على عدم إفادة أتباعه إياه، فشأنهم معه شأنه معهم، ففي الجملتين مبالغة في بيان عدم إصراخ أي من الفريقين الآخر، ولاحظْ هنا أنه نفى إصراخَهم لا صُراخهم؛ فهناك صرْخ بلا مُصرِخ.

وإذا كان التكرار يتسق ووجود طرفي حوار يتلاسنان، فمن الممكن القول بانتفاء التكرار لاختلاف المتحدَّث عنه في الأسلوبين، فالأول يعبر عن فصيلة التكلم: (ما أنا...) أُلحِق به ضميرُ المخاطب(كم)، والثاني يعبر عن

---

[1] ينظر: السابق ص٨١،٨٥ ، علم لغة النص النظرية والتطبيق د.عزة شبل، مكتبة الآداب– القاهرة، الثانية ٢٠٠٩م ص١٠٦

[2] ينظر: مدخل إلى علم لغة النص ص٨٢، ٩١

فصيلة الخطاب:(وما أنتم...) ألحقت به ياء المتكلم(يْ)، لكني أميل إلى القول بوجود التكرار قصد المبالغة والتوكيد.

٣-التوازي التركيبي ودلالته

التوازي التركيبي أو الموازاة وسيلة من الوسائل الشكلية التي تؤدي إلى ترابط النص، ويقصد بها: تكرار البنية التركيبية مع ملئها بمحتوى مختلف، فيعاد استخدام سلاسل متشابهة، تقدم من خلالها أحداث متنوعة، ووظيفة هذا العنصر تكمن في المحافظة على استمرارية التقسيم الصوتي الداخلي، وهو يُوازي الوزن والقافية في الشعر[١]، وتُبصر هذا التوازي التركيبي وينجلي لك أثره من التقسيم الصوتي البديع عن طريق التحليل المقطعي للجملتين كما يبين الجدول الآتي:

الجملة		المقاطع ورموزها							
الأولى	ما أنا بمصرخكم	ما	أ	نا	بِـ	مُصْـ	ـرِ	خِـ	ـكُمْ
		ح ح ح	ح ح	ح ح ح	ح ح	ح ح ح	ح ح	ح ح	ح ح ح
الثانية	ما أنتم بمصرخيّ	ـا	ـتُـ	ـمْ	ـبِـ	ـصْـ	ـرِ	ـخِـ	ـيَّ
		ح ح ح	ح ح ح	ح ح ح	ح ح	ح ح ح	ح ح	ح ح ح	ح ح

[١] علم لغة النص ص١٠١، ص١٣١

يظهر لك بجلاء التوازي التركيبي بين الجملتين نتيجة اتحادهما في عدد المقاطع، وتناسب جُلّها كمّا وكيْفا وأصواتا، مما يرسم لنا صورتين متقابلتين متوازنتين، والتقابل أو التوازي طريقة من طرق التصوير يستخدمه التعبير القرآني كثيرا في إيصال المعنى بإيقاع نغمي عذب، فالصورتان تلتقيان في أقل من نصف سطر، بينما الأذهان تستغرق مدى أطول في تصور نتائجهما الوخيمة.

مظاهر الترابط التركيبي بين الجملتين وبين الجمل الأخرى ودلالته

وأما الترابط التركيبي بين الجملتين والجمل الأخرى في سياق الآية فقد تحقق عن طريق عنصر الإحالة بالضمير.

- الربط بالإحالة بالضمير ودلالته

النص جملة من العناصر تترابط بتوفر روابط عديدة من أهمها: الروابط الإحالية[1]؛ حيث تُمثل أبرزَ السمات التي تقوم عليها العناصرُ اللغوية التي لا تُفهَم إلا بالتفطّن إلى صلتها بما تحيل عليه، وهذا المحال عليه يُعطيها مدلولها. والروابط الإحالية في العربية عديدة ويدخل فيها: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وغيرها من الروابط التي لا يكاد يخلو منها نص، وهذا أمر يسّرته وظيفة الذاكرة البشرية التي يمكنها أن تختزن

[1] تناول علماء النص الإحالة كوسيلة من وسائل الربط اللفظي تحت مجموعة من المصطلحات منها:مصطلح الإحالة، والإحالة المتبادلة، والإحالة النصية، والإرجاع، والإرجاعية،والمرجعية، ولكن الترجمة الأكثر استخداما هي الإحالة.علم لغة النص ص١١٩

آثار الألفاظ السابقة، وعلى هذا الأساس تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص وهذا مدخل الاقتصاد في اللغة[1].

والربط بالإحالة بين الجملتين موضعي الشاهد والجمل الأخرى تحققَ عن طريق ضمائر تتنوع بين التكلم: (أنا- ياء المتكلم)، والخطاب: (كُمْ- أنتم)، "وكان الربط بالضمير بديلا لإعادة الذكر أيسرَ في الاستعمال وأدعى إلى الخفة والاختصار؛ بل إن الضمير إذا اتصل فلربما أضاف إلى الخفة والاختصار عنصرا ثالثا هو الاقتصار، وهذه العناصر الثلاثة من مطالب الاستعمال اللغوي.

وشرط الإحالة بأي ضمير: أن يكون بين الضمير ومرجِعه مطابقةٌ في اللفظ والقصد؛ بحيث لو عدنا بالإضمار إلى الإظهار لحصلنا على اللفظ نفسه وعلى المدلول نفسه"[2]، ولأننا في الجملتين بين ضمائر تكلم وخطاب؛ فإن مرجعَ ضميرِ التكلم هو المتكلِّم، ومرجعَ ضميرِ الخطاب هو المخاطَب، وكلاهما بيّن ظاهر، بقرينة السياق الخارجي والداخلي. أعني أن الآية تُبين المحاورة الجدلية بين رئيس الشياطين وبين أتباعه والتي سبّبت أن يقوم إبليس خطيبا فيهم، فإن اختبرتَ عنصرَ المطابقة في القصد(المدلول) وفي اللفظ، وعدتَ بالإضمار إلى الإظهار لاستقام المعنى الذي هو: (ما إبليسُ بمنقذٍ أتباعَه، وما أتباعُه بمنقذين إياه)؛ فجاء الإضمار في الجملتين على سبيل الاقتصاد اللغوي رابطا بين عناصر النص دون أدنى لبس.

---

[1] ينظر: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا. للأزهر الزنّاد. ط. المركز الثقافي العربي- بيروت، الأولى ١٩٩٣م هامش ص ٧٦، ص١٢١ بتصرف.

[2] ينظر: البيان في روائع القرآن ١١٩/١

ثالثا: التحليل الصرفي للجملتين موضعي الشاهد في ضوء السياق العام

إن لبنية صيغ المشتقات أثرا كبيرا في بيان المعنى، ويظهر ذلك الأثر عند تحليل الصيغة وربطها بسياق المقال وسياق الموقف؛ فالسياقان كالبيئة الخصبة التي أنبتت هذه الصيغة واصطفتها دون غيرها، ويطلق على فرع علم اللغة الذي يتناول هذه الصيغ مصطلح(Morphology)، ويُسمى المحورُ الذي يشكل دراسة هذه القضايا بالوحدات الصرفية (MORPHEAME).[1]

وموضع الشاهد قوله: (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي)، وهي كلمات ست باصطلاح الصرفيين والنحاة، لكن كلَّ كلمة –في الأصل– تتكون من مورفيمات عديدة لها دلالاتها الخاصة، وعند تحليل كل كلمة تحليلا مورفولوجيا ينتج لدينا الآتي:

---

[1] مصطلح الوحدة الصرفية دخل مجال الدرس الصرفي الحديث ترجمة للمصطلح(Morpheme)الذي يشكل محور الدراسات المتعلقة بأشكال الكلمات وصيغها المختلفة، والمورفيمات هي تلك الوحدات الصغرى أو المباني الصرفية الحاملة للمعاني الصرفية الوظيفية، ويندرج تحتها علامات تتحقق المباني الصرفية بواسطتها. وفي اللغة العربية تتعدد الوحدات بتعدد الفصائل الصرفية من ناحية، وبتعدد التقسيمات العقلية أو الذهنية لهذه الفصائل من ناحية أخرى، ولكل وحدة صرفية أكثر من علامة، وهذه الوحدات قد تؤدي وظائف أو معاني معجمية، أو نحوية، أو تصريفية اشتقاقية، وقد توضح الحالة الفعلية، وقد تعبر عن فكرة الإفراد أو الجمع، وقد تؤدي معاني فرعية يطلق عليها الصرفيون: معاني صيغ الزوائد، بل قد يتعدد المعنى الوظيفي للوحدة الواحدة. ينظر: دلالة السياق د. البركاوي ص١٢١–١٣١ بتصرف، وقارن بالعربية معناها ومبناها د. تمام حسان ط.دار الثقافة– المغرب، ١٩٩٤م ص٨٢

التحليل المورفولوجي للجملة الأولى:(ما أنا بمصرخكم)

كلمة(ما) تمثل وحدة صرفية واحدة كما يأتي:

١- ما: مورفيم حر[١] يدل على معنى النفي.

كلمة(أنا) تمثل وحدة صرفية واحدة كما يأتي:

٢- أنا: مورفيم حر يدل على الحضور(التكلم)، كما يدل من حيث العدد على وحدة الإفراد المقابلة لوحدة الجمع.

كلمة(بمصرخكم)تتكون من المورفيمات الآتية:

٣- الباء: مورفيم مقيد سابق يدل على معنى الجر.

٤- ص/ر/ خ: مورفيم حر يدل على المعنى الوضعي للصرخ، ويؤدي هذا المعنى في كلمات أخرى مشتقة من نفس المادة.

٥- الميم المضمومة وكسرة الراء: مورفيم مستقل يشير إلى معنى اسم الفاعل مما فوق الثلاثي، وهو يقع بإزاء الميم المضمومة وفتحة الراء التي تدل على اسم المفعول .

٦-كسرة الخاء: مورفيم مقيد يدل على علامة الجر؛ ومن ثم فالكسرة تقابل الفتحة، والضمة.

[١] راجع تقسيم المورفيم بحسب الاتصال والانفصال إلى مورفيم حر، وموفيم مقيد في دلالة السياق د. البركاوي ص١٣٥

٧-الكاف والميم: يُشكلان وحدة صرفية مقيدة لاحقة تدل من حيث فصيلة الحضور على الخطاب، ومن حيث الفصيلة العددية وفصيلة الجنس تُفيد -بما دل عليه الضمُّ في الكاف والميمُ-معنى الجمع للمذكر.

التحليل المورفولوجي للجملة الأخرى: (وما أنتم بمصرخِيّ)

كلمة(وما) تتكون من المورفيمين الآتيين:

١-الواو: مورفيم مقيد يُشير إلى معنى العطف.

٢-ما: مورفيم حر يدل على معنى النفي.

كلمة(أنتم) تمثل وحدة صرفية واحدة كما يأتي:

٣-أنتم: مورفيم حر يدل من حيث فصيلة الحضور على الخطاب، ومن حيث الفصيلة العددية وفصيلة الجنس يفيد-بما دل عليه الضمُّ في التاء والميمُ-معنى الجمع للمذكر.

كلمة(بمصرخِيَّ)تتكون من المورفيمات الآتية:

٤-الباء: مورفيم مقيد سابق يدل على معنى الجر.

٥- ص/ر/ خ: مورفيم حر يدل على المعنى الوضعي للصّرخ.

٦- الميم المضمومة وكسرة الراء: مورفيم مستقل يشير إلى أن الكلمة اسم الفاعل.

٧-كسرة الخاء: مورفيم مقيد يدل على علامة الإعراب (الجر).

٨-الياء المشددة: وهي مفتوحة تتكون من ياء الجمع وياء الإضافة- كما هي في قراءة الجمهور[١]- وتُشكل مورفيما مقيدا لاحقا يدل -من حيث الحضور- على التكلم، ويدل-من حيث العدد- على الإفراد.

وبتحليل الوحدات الصرفية السابقة والوظائف التي تؤديها والدلالات المستنبطة منها في ضوء السياق فإنك تستنتج الآتي:

* مجموع الوحدات الصرفية على مستوى الجملة الأولى قد بلغ سبع وحدات صرفية، وبلغ ثماني وحدات في الجملة الأخرى، منها المورفيمات الحرة Free morbhemes، ومنها المقيدة Bound morphemes ولكل مورفيم أو وحدة وظيفةٌ مستقلة عن الأخرى، وبعضها أدى أكثر من وظيفة، فهناك وحدة صرفية تؤدي وظيفة معجمية؛ أي أنها تدل على معنى وضعي كما في وحدة: (ص/ر/خ) في الجملتين، وقد تشير إلى معنى نحوي (وظيفة الكلمة في الجملة) كما في الوحدات: (ما-الباء-كسرة الخاء-الواو)، كما تؤدي معاني اشتقاقية تصريفية كما في وحدة: (الميم المضمومة مع كسرة الراء)، وقد تعبر عن فكرة العدد، وفكرة الحضور من تكلم أو خطاب كما في الوحدات: (أنا-كم-أنتم -الياء المشددة)، وقد تعبر عن فكرة الجنس أو النوع كما في الوحدتين: (كم-أنتم).

---

[١] حيث قرأها حمزة بكسر الياء محرِّكا ياء (مصرخيّ) الثانية إلى الكسر، بينما حركها الباقون إلى الفتح. راجع السبعة لابن مجاهد تحقيق د.شوقي ضيف ط.دار المعارف-مصر، د.ت ص ٣٦٢، النشر لابن الجزري نشر:دار الكتب العلمية-بيروت، الأولى ١٩٩٨م ٢/٢٢٤

* المورفيمان المقيدان: (كُمْ- الياء المشددة) ومعهما المورفيمان الحران: (أنا-أنتم)، يجسدون معا حالة من المواجهة الفاصلة بين الشيطان ومتبوعيه، لتحديد مهام كل فريق.

*مورفيم الباء:[1] سيق في الخبر لأجل التأكيد كما سبق بيانه، وكأن هذا المورفيم المقيد(الباء) مع المورفيمات الحرة (ما-أنا) (ما- أنتم) تعاونوا من أجل بيان أن الشيطان ومتبوعيه ليسوا متلبسين بشيء من الإنقاذ في أي وقت من الأوقات.

* مورفيم الواو: أفاد العطف للدلالة على عدم غناء أحدهما عن الآخر.

*مورفيم ص/ر/ خ: يؤدي وظيفة معجمية هي الدلالة على معنى الصُراخ ومدّ الصوت والصياح الشديد كما بينّا، وفي هذا السياق وبهذه الصيغة(مصرِخ) يدل على الإغاثة والإنقاذ كما سيأتي.

*مورفيم ضمة الميم وكسرة الراء: (مُصرِخ)، والمعبَّر عنه باسم الفاعل مما فوق الثلاثي[2] يؤدي وظيفة صرفية حاكمة تُضاف إلى الوظيفة المعجمية

---

[1] و معه بطبيعة الحال مورفيم الكسرة؛ أي كسرة الخاء الناجمة عن الجر.

[2] واسم الفاعل يُعبِّر عن وحدة التخصيص المندرجة تحت فصيلة التعميم والتخصيص؛ حيث تندرج تحت هذه الفصيلة وحدتان صرفيتان هما: ١- وحدة التعميم، ويعبر عنها بالمصدر واسم المصدر والمصدر الميمي والمصادر الصناعية. ٢-وحدة التخصيص: ويندرج تحتها تسع وحدات فرعية لكل منها صيغته التي تُعد علامة صرفية له، وهذه الوحدات المخصصة للمعنى أطلق النحويون عليها مصطلح المشتقات، وهذه الوحدات هي: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، واسما الزمان ==

سابقة الذكر؛ لتحديد المعنى المقصود وتوجيهه وتخصيصه بما يتناسب مع سياقي الحال والمقال، ولاسم الفاعل عموما دلالات ثلاثة هي: "الحدث، والحدوث، وفاعل الحدث"[١]. ويقصد بالحدث: معنى المصدر، وبالحدوث: التجدد أو التغير أو ما يقابل الثبوت ، وبالفاعل: القائم بالحدث.[٢]

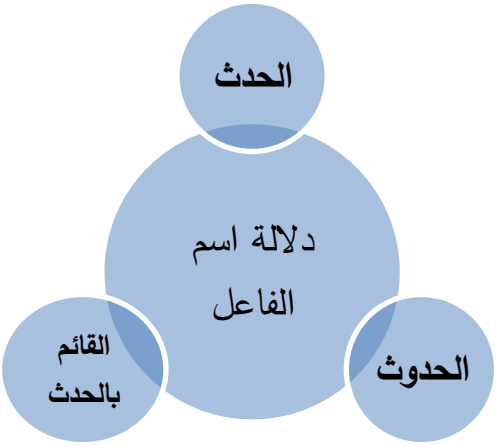

فالاسم المشتق(مصرِخ) يدل على الصّرخ وهو الحدث أو الحقيقة الوضعية المجردة، ويدل على الحدوث أو تجدد الإصراخ، وفي هذا السياق

==

والمكان، واسم التفضيل، واسم الآلة، والمنسوب، والمصغر. ينظر: دلالة السياق ص ١٥٤، ص١٦٣-١٦٥بتصرف

[١] ينظر:شرح التصريح على التوضيح للشيخ: خالد الأزهري تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الأولى ٢٠٠٠م ١١/٢

[٢] ينظر: معاني الأبنية في العربية د.فاضل السامرائي ط.دار عمّار-الأردن، الثانية ٢٠٠٧م ص٤١ بتصرف

فإنه يدل على انتفاء حدوث الإصراخ وتجدده، ويدل على الفاعل أي: الشيطان تجاه متبوعيه، والمتبوعون تجاه الشيطان.

والمُصرِخ: المنقِذ المغيث[1]، واستصرخني فلانٌ فأصرخْتُه: أي استغاثَ بي فأغثتُه، فصيغة(أفعلَ) هنا جاءت لمعنى الإغاثة والإنقاذ، وهو معنى ليس له ضابط، ويختلف عن المعاني المعروفة لصيغة(أفعلَ)[2].

وقيل همزة أفعلَ للسلب، فقولك: أصرخْتُهُ: أي أزلتُ صُراخَه[3]، وإلى معنى السلب ألمح البقاعي حيث قال:" (ما أنا بمصرخكم) أي بمغيثكم فيما

---

[1] وقد اختلف المفسرون في تحديد المعنى السياقي اختلافا شكليا فقال ابن عباس: ما أنا بمصرخكم: أي بنافعكم، وروي عنه: بمغيثِكم ولا منقذكم، وقال مجاهد: بمغيثِكم، وقال ابن جبير: بمنقذكم، وقال الربيع بن أنس: بمنجيكم. راجع: الطبري٦٢٩/١٣، النكت والعيون للماوَردي البصري تعليق: السيد عبدالمقصود عبدالرحيم، د.دار الكتب العلمية- بيروت، د.ت ١٣٠،١٣١/٣، التفسير البسيط للواحدي، تحقيق د. محمد الفوزان، ط.جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-الرياض ١٤٣٠هـ ٤٥٣/١٢، الكشاف٣٧٥/٣، البحر٤٠٨/٥ والمعاني كلها متقاربة.

[2] وهي معان كثيرة ذكرها الصرفيون من أهمها: التعدية، والتعريض، والصيرورة، والدخول في المكان أو الزمان، والدعاء، والإعانة، والسلب والإزالة. راجع: المغني في تصريف الأفعال د.محمد عبد الخالق عضيمة، ط. دار الحديث - القاهرة، الثانية ١٩٩٩م ص١٢٤-١٣١

[3] ينظر: الدر المصون للسمين الحلبي تحقيق د.أحمد الخرّاط ط. دار القلم، دمشق د. ت ٩٥/٧، حاشية الشهاب المسماه عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ط. دار صادر-بيروت د.ت ٢٦٣/٥، تاج العروس باب الخاء، فصل الصاد المهملة مع الخاء المعجمة، مادة ص ر خ، روح المعاني٢٠٩/١٣

يخصكم من العذاب ، فآتيكم بما يُزيل صراخكم منه: (وما أنتم بمصرخي) فيما يخصني منه لتقطع الأسباب ، بما دهى من العذاب."[1]

والصيغة قد خرجت عن الدلالة المعجمية العامة وهي الصراخ والصياح ورفع الصوت إلى الدلالة الخاصة بالاسم المشتق، وهي: الإغاثة والإنقاذ والإنجاء والنفع.

ويصور أحد الباحثين دلالة الصيغة وما توحي به من إحباط واستسلام فيقول: وقوله تعالى: (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) تعني الإحباط التام، والصوت المجلجل في الدفع، فلا يغني بعضهم عن بعض شيئا، ولا ينجي أحدهم الآخر من عذاب الله، ولا يغيثه مما نزل به، فلا إنقاذ ولا خلاص ولا صريخ من هذه الهوة، وتلك النازلة، فلا الشيطان بمغيثهم، ولا هم بمغيثيه.[2]

ويسعك التساؤل عن العلاقة بين المعنى المعجمي للصرخ وهو: الصياح ورفع الصوت، وبين المعنى السياقي للصيغتين: (مصرخكم- مصرخيّ) الدائر حول معنى الإغاثة؟ ولماذا اصطفى التعبير القرآني هذه المفردة (مصرِخ) دون مرادفاتها؟

أقول: إن السياق اللغوي للآية الكريمة قد ختم بتوعد الظالمين وهم الكفار بالعذاب الأليم، والسياق الخارجي دل على أن توقيت هذا المشهد بين إبليس وأتباعه كان بعد أن قضى الله بين الخلائق، ودخل أهل الجنة الجنة

---

[1] نظم الدرر ٤٠٨/١٠

[2] راجع: الصوت اللغوي في القرآن د.محمد حسين الصغير ط.دار المؤرخ العربي- بيروت، الأولى ٢٠٠٠م ص١٦٦

وأهل النار النار ؛ لذا اصطفى النسق القرآني هذه المادة اللغوية(ص ر خ) دون غيرها:(ع و ن، ن ق ذ، غ و ث، ن ج ي) ليُشتق منها اسم الفاعل(مصرِخ) دون أخواته من مثل: (معين–منقِذ– مغيث–منج)؛ لأن المعنى الوضعي للصّرخ– كما ذكر المعجميون– يدل على الصياح ومد الصوت والصراخ الشديد عند الفزع أو المصائب، فاشتق التعبيرُ القرآني من المادة الكلمةَ التي تصور حال الكفار يومئذ من أصوات وصيحات وتأوهات من مصيرهم؛ فالكلمة المشتَقّة (مُصرِخ)في هذا السياق لا تدل على معنى عدم الإغاثة فقط، وإنما يُستوحى منها ومن مادتها حال إبليس وأتباعه وهم يصيحون: واغوثاه! ؛حيث إن من مستلزمات الصياح الاستغاثة؛ فجاءت الإغاثة أو استجابة النداء امتدادا دلاليا من الصراخ لارتباط ثلاثتها (الصرخ–الاستغاثة–الإغاثة)بحقل دلالي واحد، وكأن الاشتقاق من مادة (ص ر خ) يُصوّر الحال، والتعبيرَ باسم الفاعل (ما أنا بمصرِخكم...)يصور المآل، فهناك صرْخ بلا مُصرِخ، واستغاثة بلا مغيث؛ لتظهر المفردة القرآنية متمكنة في موضعها ومع سياقها أيما تمكن.

رابعا: التحليل الصوتي للمشتق:(مُصرِخ) في ضوء السياق العام

الصوت أصغر وحدة لغوية يتألف منها التركيب اللغوي، ويمثل اللبنة الأساسية في تشكيل الوحدات الكلامية، ولأن تحليل المادة القرآنية المدروسة في ضوء نظرية السياق ينبغي أن تتكامل فيها الوظائف المختلفة التي تنهض بها الوحدات اللغوية صوتية كانت أم صرفية أم نحوية ؛ كان لابد من تحليل أصواتها (الصاد والراء والخاء)؛ لاستجلاء دلالاتها وأبعادها المعنوية التي توحي بها، فيجتمع في البحث الأثر التركيبي مع الأثر الصرفي والصوتي لدلالات مشتقات الصرخ في النسق القرآني.

هذا وتنقسم الدراسة الصوتية انقسامات عديدة، ومن أهمها انقسامها إلى:

– علم الأصوات الوصفي، أو الفوناتيك(phonetics)، وهو يقتصر في دراسته للوحدة الصوتية(الفونيم) على وصفها على ما هي عليه في الواقع النطقي في مراحلها المختلفة.

– علم الأصوات الوظيفي، أو الفونولوجي(phonology)، وهو يركز في دراسة الوحدة الصوتية(الفونيم) على وظيفتها اللغوية التي تكشف لنا دلالاتها مفردة، وفي سياقاتها المتآلفة؛ ومن ثم فهو يقوم بالأساس على علم الأصوات الوصفي.[1]

وسيتم التركيز في الدراسة الصوتية لمادة(ص ر خ) على جانبين:

الجانب الأول: يتعلق بالدراسة الصوتية الوصفية وفي هذا الجانب سنصف– في جدول إحصائي– الأصوات الثلاثة من حيث المخرج والصفات الجوهرية والعارضة، مع تحديد نتائج الدراسة الوصفية في مرحلتَيْها الفسيولوجية والإدراكية.

الجانب الثاني: يتعلق بالدراسة الوظيفية لأصوات الصاد والراء والخاء، عن طريق استنباط دلالات نتائج الدراسة الصوتية الوصفية، وإبراز قيم هذه

[1] ينظر: علم الصوتيات د.عبد العزيز علام، د. عبد الله ربيع ط.مكتبة الرشد–الرياض، ٢٠٠٩ ص٤٣–٥٠، مقدمة في علم أصوات العربية د. البركاوي، نشر المؤلف، الثالثة ٢٠٠٤م ص٢٠–٢٢، ص٨٠–٨٨

الأصوات في توجيه المعنى وتحديده، وهذا لا يتم بمعزل عن السياق اللغوي وسياق الموقف.[1]

الجانب الأول: الدراسة الوصفية لأصوات الصاد والراء والخاء

أ- **يمكن تحليل مخرج كل صوت على حدة** وفق ما أثبته الدرس الصوتي الحديث[2] على النحو الآتي:

[1] وقد أولى ابن جني هذا الجانب الثاني عناية فائقة، فهو يعد من المتحمسين لفكرة علاقة الصوامت والصوائت بالمعنى في ضوء سياقي الحال والمقال، حيث توسع في الاحتجاج لهذه القضية وإثبات صحتها، وبسط الحديث فيها، وفصّل القول في دقائقها، بل وأشار علاوة على ذلك إلى مسألة ذات بال في الدرس الصوتي، هي ما اصطلح عليه الآن بـ (فن أداء الكلام)، من نبر وتزمين، واستطاع أن يبلور معظم ذلك في أبواب ثلاثة في كتابه(الخصائص)، وهذه الأبواب هي: (باب تصاقُب الألفاظ لتصاقُب المعاني- باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني- باب قوة اللفظ لقوة المعنى)، وكذا في مواضع من كتابه(المحتسب)؛ لذا هو فارس الدلالة الصوتية، والمنظّر لها في لغتنا، حيث أخذ على عاتقه بكل ما أوتي من ملكة لغوية أن يثبت القيمة التعبيرية للصوت العربي. راجع: الخصائص ١/٢٢٣،٢/١٤٦-١٥٣، ٢/١٥٥-١٥٨، ٢/١٦٢،١٦٣، ٢/٣٧٠،٣٧١، المحتسب ١/١٣٨، ٢/٦، ٢/١٨-١٩ ،٢/٥٥، ٢/١٤٠، ٢/٢١٠

[2] راجع: علم الأصوات د. كمال بشر ط. دار غريب-القاهرة ٢٠٠٠م ص٣٠١-٣٠٣، ٣٤٥-٣٤٦، علم الصوتيات د. علام ص٢٦٩، ٢٧٢-٢٧٣

المشتقّ	أصواته الأصلية	مخرج كل صوت
مُصْمِتٌ	الصاد	يخرج الهواء من الحنجرة دون اهتزاز الوترين، وفي الفم يتم التضييق بين مقدم اللسان واللثة العليا، وكذا مؤخر اللسان يرتفع إلى ما يقابله من الحنك، ويتكون ممر عريض وضيق، فيخرج الهواء محتكا بالممر، ومصطكا بالأسنان العليا من الداخل.
	الراء	يخرج الهواء من الحنجرة، فيهتز الوتران، وفي الفم ينعقف طرف اللسان، ويطرق مؤخرَ اللثة طرقات فيها تكرار سريع.
	الخاء	يخرج الهواء من الحنجرة دون اهتزاز الوترين، وفي الفم يرتفع أقصى اللسان بحيث يكاد يلتصق بأقصى الحنك، وبحيث يكون هناك فراغ نسبي ضيق ليسمح للهواء بالنفاذ مع حدوث احتكاك مسموع.

ب-من الجدزل السابق يمكنك استنباط الصفات الجوهرية الفارقة، وكذا الصفات الثانوية لكل صوت وفق ما أثبته الدرس الصوتي الحديث[1] على النحو الآتي:

المشتق	أصواته الأصلية	صفات كل صوت						توزيع الصفات		نتيجة الصوت
		الصفات الفارقة					الصفات الثانوية	قوة	ضعف	
مُصْرِخ	الصاد	مهموس	رخو	مطبق	مستفل	مصمت	صفيري	٤	٢	قوي
	الراء	مجهور	متوسط	منفتح	مستفل	منطبق	مكرر	٢	٤	ضعيف
	الخاء	مهموس	رخو	منفتح	مستفل	مصمت	-	٢	٣	ضعيف

[1] راجع: عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة، د. عبدالعزيز علام، الأولى ١٩٩٠م ص١٣١ وما بعدها، نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد للشيخ: محمد مكي نصر نشر:مكتبة الآداب- القاهرة، الرابعة ٢٠١١م ص٨٥، مقدمة في علم أصوات العربية د.البركاوي ص ١٠٦ وما بعدها

ج- نتائج الدراسة الوصفية:

* الأصوات الثلاثة فسيولوجيا:

ويتكشف لنا في هذه المرحلة عنصران مميّزان هما: مدى الانسجام الصوتي بين الأصوات الثلاثة، ودرجة قوتها أو ضعفها.

- مدى الانسجام الصوتي

تباينت الأصوات الثلاثة في مخارجها وتباعدت على نحو معقول؛ فأولها صوت لثوي لاشتراك مقدم اللسان مع اللثة العليا في نطقه، وثانيهما يخرج من طرف اللسان، وثالثهما من أقصى الحنك مما يؤدي إلى انسجام الأصوات عند التأليف بينها، وإن انتقد البعض معيار التباعد والتقارب للحكم على انسيابية اللفظ وانسجامه، فانتقاده إنما يوجّه لمن يجعل القاعدة مطّردة على كل مفردات اللغة، لكن خاصية التباعد في السياق التركيبي للكلمة، مع خاصية الوضوح السمعي التي سيأتي بيانها منح بنية الأصوات الثلاثة صفة الخفة وأضفى على وقعها السمعي صفة الاستحسان.

- درجة القوة والضعف

١- صوت الصاد: حكم عليه بأنه صوت قوي؛ لأنه قد اجتمع فيه أربع صفات قوة (الاستعلاء-الإطباق-الإصمات-الصفير) فرجحت صفات القوة فيه على صفتي الضعف: (الهمس، والرخاوة)، كما أنه صوت مفخم تفخيما كليا في أي سياق يقع فيه، بقطع النظر عما يسبقه أو يلحقه من أصوات،

فالتفخيم بالنسبة للصاد جزء لا يتجزأ من بنيته، وبه ينماز من سائر الأصوات الصامتة.[1]

٢- صوت الراء: صوت ضعيف؛ لأنه قد اجتمع فيه ثلاث صفات ضعف: (الانفتاح، والاستفال، والذلاقة) علاوة على صفة التوسط بين الشدة والرخاوة، لكنه لا يخلو من صفتي قوة: (الجهر، والتكرار)[2].

٣-صوت الخاء: صوت ضعيف؛ لأنه قد اجتمع فيه من صفات الضعف ثلاثة هي: (الهمس- الرخاوة- الانفتاح)، وذلك في مقابل صفتي قوة هما: (الاستعلاء-الإصمات).[3]

---

[1] راجع:علم الأصوات كمال بشر ص٣٩٦، عن علم التجويد د.علام ص١٦٠

[2] وصفة الانحراف لا يتصف بها صوت الراء على ما ذكر ابن جني وابن الجزري وقررته الدراسات الصوتية الحديثة. راجع: عن علم التجويد ص١٠٥،١٠٦

[3] هذه النتيجة من تحديد مخرج الأصوات وصفاتها وبيان القوي منها والضعيف تمثل قاعدة عريضة في دراسة الدلالة الصوتية، ومدى ارتباطها بالمعنى العام ، وأخيرا في ميدان الكشف عن الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، وهذه النتيجة بنيت على أساس فسيولوجي فقط، فالصوت الذي يتطلب في نطقه تحركات تقطيعية أكثر، وجهدا عضليا أكبر، هو الصوت القوي، والصوت الذي يتطلب في نطقه تحركات تقطيعية اقل، وجهدا عضليا أصغر ، هو الصوت الضعيف. ولكي يكون الحكم دقيقا لابد من الاعتماد في هذه الدراسة أيضا على الأساس الفيزيائي والأساس الإدراكي؛ لقوة الترابط بين الأسس أو الأبعاد الثلاثة التي تمثل مراحل عملية التخاطب كاملة. ينظر: عن علم التجويد ص١٦٥،١٦٦

**الأصوات الثلاثة إدراكيا

درجة الوضوح السمعي Sonority[1]:

لما كان الأصل الثلاثي للصّرخ يدل في حقيقته الوضعية المجردة على الصوت مطلقا، ثم اشتُقّت منه صيغٌ أخرى تزداد دلالتها وتتنوع بتنوع الصيغة المشتَقّة، كان لزاما على البحث بيان درجة الوضوح السمعي لأصوات (ص ر خ) كي نبصر مدى تعانق الواقع الفوناتيكي للأصوات الثلاثة مع وظيفتها الفونولوجية ودلالتها السياقية.

معلوم أن الأصوات تختلف في درجة وضوحها السمعي من صوت لآخر وفق ما تتصف به، وأن شدة الوضوح السمعي للأصوات تزداد طرديا مع شدة الأصوات وجهارتها، وتقل مع رخاوة الأصوات وهمسها[2]؛ لذا يمكننا أن نرتب الأصوات الثلاثة ابتداء من أعلاها وضوحا على النحو الآتي:

١-صوت الراء: يأتي في المرتبة الأولى في الوضوح السمعي؛ لأنه من الأصوات المجهورة المتوسطة التي تتسم بوضوح سمعي أكبر من باقي

[1] ويعني هذا المصطلح:" طاقة الصوت النطقية التي تجعل الصوت واضحا للسامع غير ملتبس بغيره من الأصوات". الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية د.سمير شريف إستيتية، دار وائل للنشر-عمّان، الأولى ٢٠٠٣م ص١٦٩

[2] والعوامل التي تؤثر في درجة الوضوح السمعي كثيرة منها: حجم حجرة الرنين، والجهد العضلي الزائد، غير أن صفتي الجهر والشدة ربما تكون من أكبر العوامل أثرا في زيادة الوضوح السمعي من غيرها، إذ تبقى العوامل الأخرى مساعدة لها في ترتيب شدة الوضوح. ينظر: الأصوات اللغوية د.إستيتية ص١٦٩-١٧٤، الأنساق الدلالية للصوت اللغوي-بحوث تطبيقية في القرآن الكريم د.عادل عباس النصراوي، ط. تموز بدمشق، الأولى ٢٠١٦م ص٥٣ وما بعدها

الصوامت؛ حيث تتكون الراء –كما سبق بيانه –بالتقاء طرف اللسان بحافة الحنك الأعلى، فيضيق هناك مجرى الهواء؛ أي أن الصفة المميزة للراء هي تكرر طرق اللسان حافة الحنك طرقا لينا يسيرا مرتين أو ثلاثة لتتكوّن الراء العربية، وعند ذلك ينحبس الهواء، لكنه يجد له مسربا فيخرج من الفم على شكل دفقات، ثم إن اللسان عندما يطرق حافة الحنك الأعلى يعمل على تكوين حجرة الرنين الخاصة به، فيجعل لكل طرقة واحدة حجرة رنين واحدة، يصحبها دفقة هواء واحدة، **وبما أن اللسان يطرق عدة طرقات للحنك الأعلى ليتولد صوت الراء، فعند ذلك ستتكون حجرات رنين بعدد الطرقات مصحوبة بدفقات للهواء من الفم، وهذا مما يعمل على زيادة وضوح صوت الراء لدى المستمع أكثر من الأصوات الصامتة كافة، بوصفه مكون من راءات متعددة مندمجة مع بعضها يستلمها المستمع صوتا واحدا.**[1]

٢–صوت الصاد: يأتي في المرتبة الثانية وضوحا بعد صوت الراء؛ لأنه من الأصوات المهموسة الرخوة، واكتسب الوضوح السمعي لما يتصف به من صفير وإطباق وتفخيم ؛ فالتفخيم والإطباق والصفير: (وهي ظواهر ناتجة عن جهد عضلي إضافي زائد على الجهد الذي تحتاج إليه النظائر غير المطبقة وغير المفخمة) تعمل على زيادة درجة الوضوح السمعي لصوت الصاد[2]، لاسيما صفة الصفير فأنت إذا قلت أصْ سمعت صوتا

[1] ينظر: الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص٥٧،٥٨، الأنساق الدلالية للصوت اللغوي ص٦٠

[2] ينظر:الأصوات اللغوية د. سمير إستيتية ص١٧٤، الأنساق الدلالية ص٥٥–٧٢

يشبه صفير الطائر؛ لأن الصاد تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان...بل إن أقوى أصوات الصفير هو صوت الصاد.[1]

٣-صوت الخاء: يعد أقل الأصوات الثلاثة وضوحا ؛ لأنه مهموس رخو منفتح، لكن صفة التفخيم فيه الناجمة عن الاستعلاء زادت من وضوحه السمعي.[2]

الجانب الثاني: الدراسة الوظيفية لأصوات الصاد والراء والخاء:

بتأمل نتائج الدراسة الوصفية للأصوات الثلاثة من حيث القوة والضعف، والوضوح السمعي، وموازنة ذلك بالمعنى المعجمي للكلمة، وكذا بالمعنى السياقي في الآية الكريمة ستلمس تناغما من جوانب مختلفة أهمها:

أولا: صوت الصاد هو أول أصوات مادة(ص ر خ)؛ لذا أعده صوتا جوهريا حاكما بالنسبة لتصوير المشهد يومئذ بالنسبة لإبليس وحزبه، وكذا لتجسيد المعنى اللغوي للمادة كلها؛ حيث يتوفر في هذا الصوت وفي أي سياق لغوي يقع فيه صفات القوة والتفخيم-كما بينّا سلفا- مما يحكي قوة الموقف يومئذ وشدته وهوله على الناس جميعا لاسيما أهل النار من رأس المضلين وأتباعه، فحالهم فزع واضطراب وخوف ، والموقف مهيب مذهل صعب.

والمعنى اللغوي للصّرخ من صوت مرتفع عالٍ هو نفسه حال الكفرة الظالمين يومئذ من صيحات شديدة وصراخ عنيف استغاثة واسترحاما، وهذا هو الذي يجسده لنا صوت الصاد الساكن (بمصْرخكم)تجسيدا رائعا فهو-

---

[1] ينظر: نهاية القول المفيد ص٧٥،٧٤بتصرف

[2] ينظر: الأنساق الدلالية ص٧١

فسيولوجيا– قوي باستعلائه وإطباقه وإصماته وصفيره، وهو –سمعيا وإدراكيا– واضح بما فيه من تفخيم وصفير وإطباق–كما سبق بيانه– مما جعلنا نتخيل صدى الصيحات والأصوات يومئذ.

ثانيا: صوت الراء يتصف بصفة التكرار أي تكرار ضربات اللسان على مؤخر اللثة تكرارا سريعا ، وهذا يتجانس مع المعنى اللغوي للكلمة؛ فالذي يصرخ ويستغيث يُكرر صراخه ويظل يصيح حتى ينجو أو يموت، وكذلك فإن صفة التكرار تحكي موقفَ أهل النار يومئذ من إلحاحهم في الاستغاثة وطلب النجاة والاسترحام والاستعطاف.

ثالثا: بتأمل درجة وضوح أصوات الصاد والراء والخاء ستجد نسبة وضوحها الصوتي لدى المستمع عاليا؛ ذاك أن صوت الراء أعلى أصوات العربية–بعد المصوتات– من حيث مدى الوضوح السمعي[1]، والصاد ذو وضوح سمعي لتفخيمه وصفيره وإطباقه، والخاء له وضوح سمعي بسبب استعلائه؛ فجاء اللفظ بوضوح أصواته سمعيا دليلَ المعنى وشاهدا عليه وموحيا به، وإن شئت فقل: لما أراد واضع اللغة التعبير عن ارتفاع الصوت وشدة مداه معنويا اختار له الأصوات ذوات الجرس السمعي الواضح ماديا.

[1] راجع الجدول الذي أعده الباحث د. عادل النصراوي في بحث له بعنوان: الوضوح السمعي وأثره في دلالة المفردة القرآنية؛ حيث رتب أصوات العربية من أعلاها وضوحا إلى أقلها بترتيب عددي يقابل عدد أحرف العربية، وعدّ قيم كل صوت بالوحدة السمعية، وقد توصل إلى أن الراء أوضح الصوامت قيمة سمعية بعد المصوتات(الحركات). راجع بحثه ضمن أبحاث صوتية كثيرة ضمنها في كتابه المعنون بـ:الأنساق الدلالية للصوت اللغوي من ص٤٥–ص٨٥

رابعا: بتأمل الأصوات الثلاثة مجتمعة، في ضوء معيار القوة والضعف الذي سبق ذكره –وهو ما لا يصح غض الطرف عنه عند التحليل الصوتي للمفردة القرآنية–[1]، ستجدها متعادلة بين ثماني صفات قوة ، وثماني صفات ضعف؛ وهذا التوازن في الصفات بين القوة والضعف قد يساعد في تصور تباين الحال يومئذ بين شدة الموقف وصعوبته وهوله؛ وهذا ما تحكيه الصفات القوية للأصوات الثلاثة مجتمعة لاسيما صوت الصاد، وبين ضعف الواقفين من الأذلاء المهانين من أهل النار الذين لا يملكون من الأمر شيئا ؛ وهذا ما تحكيه الصفات الضعيفة للأصوات مجتمعة لا سيما صوت الراء وصوت الخاء.

خامسا: سيقت الأصوات الثلاثة مُرتبة على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها[2]؛ فبينما يأتي صوت **الصاد** اللثوي الصفيري أولا؛ ليضاهي أول الحدث بمخرجه من مقدم اللسان مع اللثة العليا، وبصفيره المحاكي تعالى الأصوات وكثرة النداءات، يأتي صوت **الراء** المكرر ثانيا؛ ليضاهي أوسط الحدث

---

[1] يقول أستاذنا د.علام: فالصوت في السياق الصوتي، أو التركيب اللغوي، كالسمك في الماء، فإبعاد الصوت اللغوي عن السياقات التي يرد فيها من واقع الاستعمال اللغوي، كإبعاد السمك عن الماء، وإخراجه منه؛ أي أن للأصوات علاقاتها فيما بينها عندما تنخرط في السياقات تماما كالعلاقات التي تنشأ بين أفراد البشر المنتمين إلى كيان واحد كالأسرة أو البلدة أو الدولة. عن علم التجويد ص١٦٩،١٦٨ بتصرف.

[2] والذي قعّد ذلك وأسّس بنيانه هو فارس الدلالة الصوتية ابن جني الذي قال:" ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر، وذلك أنهم قد يُضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعَبَّر بها عنها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه...ومن ذلك قولهم: شدّ الحبل ونحوه..." ينظر: الخصائص ١٦٢/٢-١٦٥

بمخرجه من طرف اللسان مع مؤخر اللثة العليا، وبتكراره حيث يطرق طرف اللسان مؤخر اللثة طرقات سريعة مما يحكي تكرار الصرخات وتوالي الصيحات، ثم يكون صوت **الخاء** ثالثا؛ ليضاهي آخر الحدث بمخرجه حيث يخرج من مخرج بعيد هو –عند المحدثين– أقصى الحنك[1]، وبصفاته الضعيفة؛ لذا فهو يرسم صورة الصارخ في نهاية المشهد حيث أنهكه تكرارُ الاستغاثة، واستُنزِفت قُواه فخفت صوته وغدا بعيدا لا يُسمع بُعدَ مخرج الخاء، ضعيفا ضَعف الصوت نفسه، ولا غرو فقد خشعت الأصوات للرحمن فلا نسمع إلا همسا، وهذا سوقا لحروف(ص ر خ)على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب.

[1] أما عند القدماء فيخرج من أدنى الحلق. راجع: العين ٥٧،٥٨/١، الكتاب لسيبويه تحقيق: عبد السلام هارون، نشر: مكتبة الخانجي– القاهرة، الثانية ١٩٨٢م ٤٣٣/٤

الموضع الثاني:

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ ﴾

موضع الشاهد: صَرِيخ في جملة: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾

السياق الخارجي(سياق الموقف):

تكذيب كفار قريش لرسول الله، واستهزاؤهم به، فسيقت الأدلة–عبر آي السورة– على إثبات الرسالة التي هي روح الوجود وإثبات البعث والنشور؛ ببيان آيات الله تعالى العجيبة حسيةٍ ومعنوية، وضرب المثل بأفعاله الهائلة في الطوائف الخالية، وبما أودع في الوجود من البراهين الواضحة تنبيها وزجرا لمشركي مكة ولكل مستهزئ برسل الله وإبطالا لاعتقاداتهم.[1]

الجو العام:

يعمد جو الآيات إلى تقرير حقائق كونية بإيقاعات متلاحقة تدق على الحس دقات متوالية بصور ومشاهد متنوعة موحية عميقة الآثار تحذيرا من نقم الله، وتنبيها على استدرار نعمه.[2]

---

[1] ينظر:الطبري ٤٢٨/١٩ وما بعدها، نظم الدرر ٨١/١٦ وما بعدها، التحرير والتنوير ٣٤٢/٢٢ وما بعدها

[2] ينظر: نظم الدرر ١٣٣/١٦

السياق اللغوي لنظم الآية:

أولا: مناسبة السياق لما قبله

لما منّ ربنا- سبحانه- بإحياء الأرض بيّن أنه لم يقتصر؛ بل جعل للإنسان طريقاً يتخذ من البحر خيراً ويتوسطه أو يسير فيه كما يسير في البر. ولها وجه آخر في أن الأمور التي أنعم الله بها على عباده منها ضرورة ومنها نافعة والأول للحاجة والثاني للزينة، ثم إن الله -تعالى- لما ذكر من القبيل الأول آيتين ذكر من القبيل الثاني وهو الزينة آيتين إحداهما: الفلك التي تجري في البحر، وثانيتهما: الدواب التي هي في البر كالفلك في البحر [1].

ثانيا: التحليل التركيبي للجملة موضع الشاهد في ضوء السياق العام ودلالته:

يمكن تحليل البنية التركيبية للجملة موضع الشاهد:(فَلا صَريخ لهم)من خلال محورين:

المحور الأول: التحليل التركيبي للجملة في ضوء جمل المقطع القرآني

ويمكن تناول هذا المحور عبر مرحلتين:

[1] مفاتيح الغيب للرازي ط. دار الفكر-لبنان، الأولى ١٩٨١م ٧٨/٢٦، وينظر: غرائب القرآن ٥٣٤/٥، نظم الدرر ١٣٣/١٦، فتح القدير للشوكاني، تحقيق: د.عبدالرحمن عميره، دون طبعة، ودون تاريخ ٤٩٠/٤

الأولى: توصيف البنية التركيبية للجملة شكلا ووظيفة

أ- **من حيث الشكل:** الجملة اسمية،و(لا) فيها نافية للجنس، و(صريخ) اسمها، و(لهم) جار ومجرور متعلقان بخبر (لا) المحذوف، والجملة الاسمية كلها معطوفة على جملة الجواب(نغرقْهم)[1].

ب- **من حيث الوظيفة:** الجملة من الوحدات النحوية التركيبية الخبرية، فهي باعتبار الخبر والإنشاء: جملة خبرية، وباعتبار الإثبات والنفي: منفية.

الثانية: العلاقات السياقية بين بنية الجملة موضعي الشاهد، والبِنى الأخرى شكلا ووظيفة:

أ- **من حيث الشكل:** بلغت كل جمل المقطع القرآني تسع جمل[2]، خمس منها جمل فعلية، وأربع منها اسمية.

سيقت الجمل الفعلية الخمسة: (حملنا- خلقنا -...)؛ لتحكي تجدد نعم الله تعالى واستمرار حدوثها كل يوم، بينما سيقت الجمل الاسمية: (وآية لهم- أنّا...)؛ لتدل بقرينة السياق الداخلي على ثبوت قدرة الله للعالَمين واستدامة آياته في الأرض وفي السماء من تسخير الفلك وتعاقب الليل والنهار وإحياء الأرض...إلخ.

---

[1] ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجَب الهمذاني، تحقيق: محمد نظام الدين، ط.مكتبة دار الزمان-السعودية، الأولى ٢٠٠٦م ٣٥٣/٥، التفصيل في إعراب آيات التنزيل٣٣/٢٣

[2] الجمل الاسمية أربع هي على الترتيب: (وآية لهم-أنا...-فلا صريخ لهم-ولا هم ينقذون) ، وبلغت الجمل الفعلية خمس جمل هي: (حملنا...-خلقنا...-يركبون-نشأ-نغرقهم).

والجملة موضع الشاهد: (فلا صريخ لهم) جملة اسمية وردت في سياق النفي، يقول الكفوي: "الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت وإذا دخل فيها حرف النفي دلت على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام."[1] فالجملة هنا أفادت دوام انتفاء المغيث، وأنه لا منجى أبدا من إرادة الله، واسميتها تتنادى مع بقية الجمل الاسمية في المقطع القرآني.

ب-من حيث الوظيفة:

- باعتبار الخبر والإنشاء

الجملة موضع الشاهد خبرية، والجمل الأخرى في المقطع القرآني خبرية- عدا جملة واحدة[2]- تناسبا مع مقام سرد آيات الله وقصّ نعمه، وشيوع الأسلوب الخبري في المقطع القرآني قد قواه التوكيد بالحرف الناسخ (أَنّ) قبل تعداد النعم هكذا: وآية لهم أنا حملنا...خلقنا...إلخ؛ مراعاةً لحال المخاطبين وموقفهم من موضوع الحديث، ودفعا لتشكيكهم الباطل في قدرة الله، وذلك على سبيل الخبر الطلبي[3]؛ وكأن أسلوب توكيد الخبر في بداية

---

[1] الكليات للكفوي ط.مؤسسة الرسالة، د.ت، فصل في المتفرقات ص١٠١٠

[2] وهي: (وإن نشأ...)؛ لأن أسلوب الشرط من الوحدات النحوية التركيبية الإنشائية غير الطلبية، وهو أسلوب مرهِب مثير يلائم السياق المتوعِّد كفارَ قريش أيما مناسبة؛ لأن ربنا قدم سببا هو إرادة الإهلاك، وذكر مسبَّبه أو النتيجة والثمرة الحتمية له وهو الغرق. هذا وقد اكتسبت الجملةُ بأسلوب الشرط دلالةَ التجدد والحدوث، وتمحّض الفعل المضارع في سياق أسلوب الشرط (إن نشأ) للاستقبال؛ مما يوحي بتبديل النعمة الثابتة الدائمة(التنقل بالفلك)مستقبلا إلى نقمة الإغراق تهديدا لهم.

[3] راجع أحوال الإسناد الخبري وأضرب الخبر في: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني شرح د. محمد عبد المنعم خفاجي، نشر:دار الكتاب اللبناني-بيروت، السادسة ==

المقطع حدد ملامح عقلية هؤلاء المعاندين المعرضين تحديدا سريعا واضحا، ولخّص مقصود المقطع كله من تأكيد امتنان الله على كفار قريش.

- باعتبار النفي والإثبات

سيقت الجملة موضع الشاهد:(لا صريخ لهم)، والجملة المعطوفة عليها: (ولا هم ينقذون) منفيتين بـ(ما) خلافا لسائر جمل المقطع، والنفي من الوحدات النحوية التركيبية الخبرية المتعلقة بمُعتقَد المخاطَب من موضوع الحديث؛ إذ إن المخاطب قد يظن احتمالية نجاته من الغرق بإغاثة مغيث أو ما شابه، فتعاون النفي في الجملتين لقطع أي سبيل للنجاة أمام من شاء الله إغراقه، وتم ذلك بقرينتين لغويتين:

الأولى: استخدام لا النافية للجنس في الجملة الأولى، واسمها مبني ؛ لتنفي وجود جنس الصريخ نفيا مستغرقا قاطعا، فهي نص في نفي عموم جنسِ أي صريخ.[1]

==

١٩٨٥م ٩١،٩٢/١ وما بعدهما. ومراعاةُ حال المخاطَب من الخصائص التي تنفرد بها العربية، ولا يُقصد بحال المخاطب هنا: المخاطَب في ذاته، وإنما يُراد به ما وعاه مبدع الكلام(الحق عز وجل) من حال المخاطب(كفار قريش)؛ أي حال المخاطَب المنعكسة في نفس المتكلّم العليم الخبير؛ فالمخاطَب تحول إلى مثير من المثيرات التي تعمل في نفس مبدع الكلام. ينظر: دلالات التراكيب د. أبو موسى ص٧٦،٧٧، وقارن بدلالة السياق د. البركاوي ص٢١٤-٢١٨

[1] ينظر: نظم الدرر ١٣٥/١٦ وإذا بُني اسم(لا) النافية للجنس كانت نصا في نفي العموم، والنفي بلا النافية للجنس أبلغ من نفي الفعل. ينظر: دراسات لأسلوب القرآن ٥٣٩،٥٤٠/٢

الثانية: تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في الجملة الثانية لإفادةٍ تُقوي الحكم وهي نفي إنقاذ أحدٍ إياهم مطلقا[1]؛ لذا كان التعبير بـ(ولا هم يُنقذون) أبلغ من: ولا يُنقذون؛ لاشتماله تكررَ النسبة وتقديمَ المسند إليه على الخبر الفعلي، والظاهر أنه للحصر.[2]

المحور الثاني: مظاهر الترابط التركيبي والدلالي للجملة موضع الشاهد

اعتمد التعبيرُ القرآني ربْطَ أجزاءِ الجملة موضعِ الشاهد تركيبيا بغير رابط، كما ارتبطتْ الجملةُ بأخواتها في المقطع القرآني على النحو الآتي:

مظاهر الترابط التركيبي على مستوى الجملة موضع الشاهد ودلالته:

قد تحقق هذا الترابط التركيبي للجملة عن طريق أداة نفي، وأداة جر، وهاك البيان:

-الربط بلا ودلالته:

قد اعتمد النسق القرآني ربط عناصر الجملة موضع الشاهد بأداة النفي (لا) التي قامت بنفي كل ما في حيزها، ذاك أن كل أداة داخلة على جملة لإفادة معنى الجملة فهي رابطة تَقْوَى بها الصلة بين كل المفردات الداخلة في حيزها، فإذا نفيت بـ(لا)-كما معنا في الشاهد-فقد نفيت إسناد خبرها إلى اسمها، فكانت(لا) بهذا النفي رابطة مفيدة لسلب الإسناد.[3]

---

[1] ينظر:التحرير ٢٩/٢٣

[2] ينظر:حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ضبط: عبدالله محمود محمد، نشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الأولى ٢٠٠١م ١٥١/١٦

[3] ينظر: البيان في روائع القرآن ١٣٥/١

-الربط باللام الجارة ودلالته:

أسلفنا أن حروف الجر- باعتبارها من حروف المعاني- تؤدي وظيفتين:

الأولى:تركيبية؛ حيث تُسهم في ترابط النص عن طريق تعلقها بغيرها من عناصر الجملة.

الثانية: دلالية؛ إذ إنها حروف فلا يُستقى معناها إلا من خلال إطار نصّيّ.

وبناء على ما سبق فإن لام الجر حققت وظيفتين، الأولى: وظيفة تركيبية في أنها عاملة خفضا فيما بعدها، ومتعلقة بخبر لا المحذوف قبلها. والثانية: وظيفة دلالية في أنها أفادت معنى الاختصاص: أي لا صريخَ مختصّ بهم، والتخصيص هو أصل معاني اللام الجارة[1].

مظاهر الترابط التركيبي بين الجملة موضع الشاهد وبين الجمل الأخرى ودلالته

معلوم أن الترابط التركيبي يلعب دورا مهما في تماسك بناء النص، وتنظيم بنية معلوماته، وقد أثرى هذا التماسك وأغنى هذا الترابط بين الجملة موضع الشاهد والجمل الأخرى في السياق العام - عنصران هما: العطف، والإحالة بالضمير.

[1] راجع مواضع اللام غير الزائدة العاملة خفضا في : رصف المباني ص٢١٨ وما بعدها، الجنى الداني ص٩٥ وما بعدها.

١- الربط بالعطف ودلالته

تعد وسيلةُ العطف من أهم وسائل الترابط بين المفردات والجمل كما أسلفنا، ولا تظهر دلالتها إلا من خلال إطار نصّيّ.

وقد كان للعطف بالواو حضور كثيف-بلغ خمس مرات-بين ثنايا آي المقطع؛ ولا غرو فهي الأداة الأم في باب العطف؛ وهي بدلالتها على الجمع والتشريك تتناغم والأسلوب الخبري الذي يسرد مجموع آيات الله ويقصّ نعمه.

أما الجملة موضع الشاهد: (فلا **صريخ** لهم) فقد عطفها النسق القرآني على جملة الجواب: (نغرقهم) مستخدما فاء العطف[١] الدالة على الترتيب والتعقيب والسببية تجسيدا للمعنى؛ فبمجرد تحقق الإغراق يعقبه ويتسبب عنه انتفاء المغيث واستحالة وجوده، فالفاء إذا في (فلا **صريخ** لهم) "تُعلق الجملةَ بما قبلها تعليقا واضحا، وترتبطُ به ربطا لائحا".[٢]

---

[١] والفاء إما أن تكون عاطفة، وإما أن تكون جوابا لازما للسببية، وإما أن تكون زائدة،... وإذا كانت للعطف في المفردات فمعناها الترتيب والتعقيب، والربط والترتيب لا يفارقانِها، وقد يأتي مع الترتيب والتعقيب معنى السببية، وزعم الكوفيون أن الترتيب لا يلزم فيها، وأما التي تكون عاطفة في الجمل فتدل على التشريك في الكلام، والربط والترتيب لازم، وتكون معهما السببية تارة ولا تكون أخرى ينظر: رصف المباني ص٣٧٦ وما بعدها بتصرف، وفي الجنى الداني:"الفاء العاطفة من الحروف التي تشرك في الإعراب والحكم، ومعناها التعقيب...ولا يخلو المعطوف بالفاء من أن يكون مفردا أو جملة، والمفرد صفة وغير صفة؛فالأقسام ثلاثة فإن عطفت مفردا غير صفة لم تدل على السببية، وإن عطفت جملة أو صفة دلت على السببية غالبا. ص ٦١-٦٥

[٢] ينظر: البحر ٣٢٤/٧

وهنا لطيفة في أنه إذا كان الغرق مرتبطا بمشيئة الله –كما تدل جملة الشرط–: إن أنفذ الله مشيئته تحقق الغرق وإلا فلا؛ فإن عطف الجملة الاسمية (لا صريخ لهم)على جملة الجواب (نغرقهم)تأكيد على دوام انتفاء المنجى أمام مشيئة الله القاهرة.

واللافت أنه عطف على الجملة موضع الشاهد جملة منفية أخرى مستخدما واو العطف الدالة على الجمع والتشريك فقال: (فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون)، وكان يمكنه الاكتفاء بالأولى، لكنه عطف عليها الثانية؛ ليفيد حصر جميع سبل النجاة؛ فالخلاص من الغرق إما أن يكون بدفعه من أصله؛ لذا قال: (لا صريخ لهم) أي: ليس هناك صريخ يحرسهم من الغرق قبل وقوعه، وإما أن يكون برفعه بعد وقوعه؛ لذا قال:(ولا هم ينقذون) أي: ولا هم يُنجون من الغرق بعد وقوعه.[1]

وأخيرا فالفاء والواو من الوحدات النحوية الإفرادية التي تشكل المعنى الاتّصالي لتراكيب النص أحيانا ولمفرداته أحيانا أخرى.

٢ – الربط بالإحالة بالضمير ودلالته

من وسائل ربط الجملة موضع الشاهد بالجمل الأخرى في النص القرآني: الإحالة بالضمير(هم) في قوله: (فلا صريخ لهم)، ومعلوم أن الضمير عموما وضمير الغيبة خصوصا لابد له من عائد يتعلق به وهو يعود عليه؛ وبذلك يجد مستقبلُ النص نفسَه يتحرك داخل النص للأمام

[1] ينظر: مفاتيح الغيب ٨٢/٢٦، إرشاد العقل السليم ١٦٩/٧

وللخلف؛ ليربط الضمير بما يعود عليه، ومن ثم يتحقق الربط بين عناصره ووحداته[1]، كما يتحقق الاقتصاد اللغوي.

ويفتقر ضميرُ الغيبة في الجملة موضع الشاهد إلى مذكورٍ يُعد مرجعا له ومطابقا إياه؛ كي يتضح المعنى السياقي، وثمّة جدل قد دار بين أهل التأويل في مرجع ضمير الغيبة في الجملة، وفي سائر الضمائر الأخرى في المقطع القرآني: (لهم–ذريتهم–لهم–نغرقهم–لهم)؛ لأن مرجعها لم يُذكر صراحة، وهذا الاختلاف يوازيه بالضرورة اختلاف في تفسير: (الذرية، والفلك) في قوله تعالى: (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك...)؛ مما ورّث تأويلات عديدة، وإذا احتكمنا إلى قرينة السياق العام للمقطع في ضوء المقصود الأعظم للسورة؛ فالراجح عود ضمائر الغيبة كلها إلى كفار مكة، وأن المقصود بالذرية: الأبناء والنساء، والفلك: السفن؛ عملا بظاهر المعنى وأصله، ومن ثم يتحقق التناغم السياقي والتعانق الدلالي بين السياق اللغوي وبين السياق الخارجي، **ويكون المعنى:**

الآية الأولى: وعلامة أخرى للمشرِكينَ مِن أَهلِ مكَّةَ على اقتدارنا وامتناننا أنا حملنا ونحمل أبناءَهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم، ونساءَهم ومن يهمهم حمله في السفن.

الآية الثانية: وخلقنا وذلّلنا للمشركين ما يركبون من مثل الفلك أي: الإبل والدواب وكل ما خلقه الله للركوب في البر.

---

[1] ينظر: دور نحو الجملة في تفسير النص منهج وتطبيق د.ليلى يوسف حميد، بحث منشور في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية – كلية دار العلوم جامعة القاهرة، ص٢٥٨

الآية الثالثة والآية الرابعة(موضع الشاهد): وإن نشأ نغرق هؤلاء المشركين إذا ركبوا وأولادهم الفلك في البحر، فليس لهم مُغيث ولا منعة، ولا أحد يُخلصهم من الغرق، إلا أن ننقذهم نحن رحمة لهم، فنمتعهم إلى أجل لابد لهم منه. [1]

ثالثا: التحليل الصرفي للجملة موضع الشاهد في ضوء السياق العام

عند تحليل الجملة موضع الشاهد: (فلا صريخ لهم) بكلماتها الثلاث تحليلا مورفولوجيا تُنتج لنا الوحدات الصرفية الآتية:

كلمة (فلا) تتكون من المورفيمين الآتيين:

١- الفاء: مورفيم مقيد يشير إلى معنى العطف.

٢- لا: مورفيم حر يدل على معنى النفي.

كلمة (صريخ) تتكون من المورفيمات الآتية:

٣- ص/ ر/خ: مورفيم حر يدل على المعنى الوضعي للصّرخ.

٤- كسرة الراء مع الياء: يمثلان وحدة صرفية مقيدة للدلالة على الصفة المشبهة، كما تدل أيضا على ضمير الفاعل.

٥- فتحة الخاء: مورفيم مقيد للدلالة على أنه في محل نصب.

---

[1] ينظر :الطبري١٩/٤٤٦-٤٤٧، النكت والعيون ٥/١٩-٢٠، الواحدي ١٨/٤٩٠، معالم التنزيل٧/١٩، الكشاف٥/١٨٠، المحرر الوجيز ٤/٤٥٥، مجمع البيان ٨/٢١١،الرازي٢٦/٨١، أنوار التنزيل ٤/٢٦٩

كلمة (لهم) تتكون من المورفيمين الآتيين:

٦- اللام: مورفيم مقيد يشير إلى معنى الجر، ويفيد معنى الاختصاص.

٧-هم: مورفيم حر يدل -من حيث فصيلة الحضور-على ضمير الغائب، ومن حيث الفصيلة العددية وفصيلة الجنس يفيد معنى الجمع للمذكر.

وبتأمل هذه الوحدات الصرفية والوظائف التي تؤديها والدلالات المستنبطة منها في ضوء السياق فإنك تُبصر الآتي:

*مجموع الوحدات الصرفية على مستوى الجملة قد بلغ سبع وحدات صرفية ولكل مورفيم أو وحدة وظيفةٌ مستقلة عن الأخرى، وبعضها أدى وظيفة مزدوجة، فهناك وحدة صرفية تؤدي وظيفة معجمية؛ أي أنها تدل على معنى وضعي كما في الوحدة(٣)، وقد تشير إلى معنى نحوي كما في الوحدات(١،٢،٥،٦)، كما تؤدي معاني اشتقاقية تصريفية كما في الوحدة(٤) الدالة على تخصيص المعنى المعجمي، وقد تعبر الوحدة الصرفية عن فكرة العدد، وفكرة النوع، وفكرة الغيبة كما في الوحدة(٧).

*مورفيم الفاء: يشير إلى معنى الترتيب والتعقيب علاوة على التشريك في الحكم وقد سبق بيان ذلك في دلالة العطف.

*مورفيم (لا) النافية للجنس: يتكامل مع مورفيم فتحة الخاء، ومورفيم لام الجر الدال على الاختصاص مع مورفيم الضمير(هم)، في تصوير انعدام وجود جنس صريخ يختص بإنقاذهم.

*مورفيم ص/ر/خ: يؤدي وظيفة معجمية فارقة هي الدلالة على معنى الصُراخ ومدّ الصوت والصياح الشديد.

*مورفيم كسرة الراء والياء: يؤديان معا وظيفة صرفية هي تخصيص معنى الحدث بما تدل عليه من الصفة المشبهة.

ومعلوم أن الصفة المشبهة تشارك اسم الفاعل في الدلالة على **الحدث وفاعله**(فاعل الإنقاذ أو من يقوم به)، وتختص الصفة المشبهة عن اسم الفاعل بأمور خمسة يهمنا منها الجانب الدلالي، وهو أن الصفة المشبهة تدل على **ثبوت** الوصف للزمن الحاضر دون الماضي المنقطع والمستقبل، فلا يقال: حسن الوجه أمس ولا غدا، بينما يدل اسم الفاعل على الحدوث لأحد الأزمنة الثلاثة. والحاصل أنك إذا أردت ثبوت الوصف قلت: حسن، ولا تقول:حاسن، وإذا أردت حدوثه قلت: حاسنٌ، ولا تقول: حسنٌ. [1]

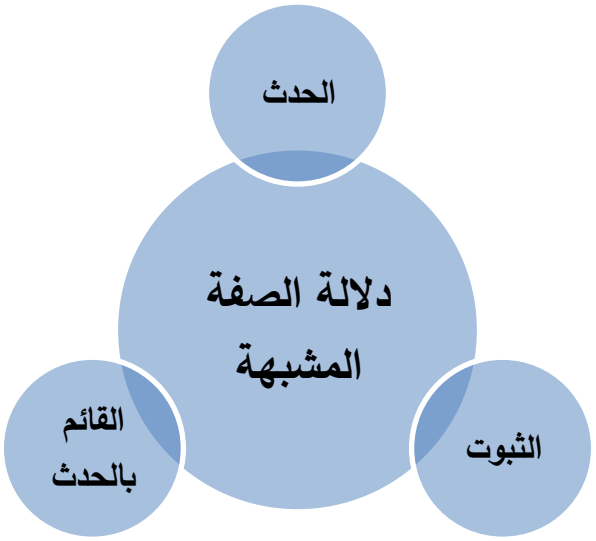

[1] ويتفقان أيضا في: التذكير والتأنيث، والتثنية والجمع...إلخ ويختلفان في أن الصفة المشبهة تصاغ من الفعل اللازم، واسم الفاعل يصاغ منهما. راجع تفصيل ذلك في التصريح ٤٨/٢ وما بعدها.

ومعنى الثبوت: الاستمرار واللزوم؛ أي أن الصفة المشبهة تدل على أن الصفة ثبتت في صاحبها على وجه الدوام، وهذه الدلالة أبرز ما يميز بناء (فَعِيل) ، فإذا أردنا الحدوث حولنا الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل.[1]

وقد ورد مورفيم كسرة الراء والياء، ليصير المشتق (صريخ) صفة مشبهة على وزن فعيل[2]، والصريخ في اللغة يعني المغيث والمستغيث؛ فهو من الأضداد كما ذكرنا في التمهيد نقلا عن أهل اللغة؛ ذاك أن(فعيل) من أبنية اسم الفاعل، فمرة يجيء بمعنى فاعِل من صرَخ إذا استغاث، ويكون (صريخ) عندئذ بمعنى صارِخ أي مستغيث ، وهذا المعنى غير مراد في هذا السياق، ومرة يجيء بمعنى مُفعِل من أصرَخَ إذا أغاث ، ويكون (صريخ) بمعنى مُصرِخ أي مغيث، وهو الأليق في هذا السياق.

ويصير المعنى: فلا مغيث لهم إذا نحن غرّقناهم يُغيثهم فينجيهم من الغرق، فصريخ: مغيث، وهو قول الجميع[3] عدا الماوَرْدِي الذي ذكره وذكر

---

[1] ينظر: معاني الأبنية ص٦٥-٦٧، وراجع دلالات أبنية الصفة المشبهة عامة، ودلالة(فعيل) خاصة في الكتاب نفسه ص٦٩-٩١

[2] وقد ذهب الزمخشري إلى احتمالية أن يكون اسم لا في الآية مصدرا بمعنى الإغاثة؛ لأنه في الأصل بمعنى الصُّراخ، وتُجوز به عن الإغاثة؛ لأن المغيث ينادي من يستغيث به ويصرخ له. ينظر: الكشاف ١٨٠/٥، عناية القاضي ٢٤٤/٧، دراسات لأسلوب القرآن ٥٤٤،٥٤٥/٢ وقد علق صاحب البحر فقال: كأنه جعله مصدرا من أفعل ويحتاج إلى نقلِ أنَّ صريخا يكون مصدرا بمعنى صُراخ، والظاهر أن: فلا صريخ بمعنى لا مغيث. البحر المحيط ٣٢٤/٧

[3] الطبري ٤٤٧/١٩، البسيط ٤٩٠/١٨، المحرر الوجيز ٤٥٥/٤، مجمع البيان ٢١١/٨، البحر ٣٢٤/٧

معنى محتملا آخر للصريخ هنا وهو : المنعة[1] ، ورغم قرب المعنيين غير أن السياق يُرجّح معنى المغيث ، فالغريق في الماء يحتاج إلى الإغاثة بعينها، ولا يحتاج إلى مطلق الحماية أو المنعة، فدلالة صريخ على معنى مغيث ألصق بالسياق وأقرب.

هذا والخروج في هذا السياق عن باب اسم الفاعل(مُصرِخ) إلى باب الصفة المشبهة (صريخ) إعمال للسياق اللغوي الذي يهدف إلى المبالغة[2] في نفي عموم جنس المغيث نفيا مستغرقا على وجه الدوام، مما لاءمه استخدام الصفة المشبهة التي تكمن قيمتها الدلالية فيما تفيده من نسبة الحدث إلى صاحبه على سبيل الثبوت واللزوم والاستمرار، ولأن دلالةَ الثبوت أبرزُ ما يميز بناء(فعيل) كان سرّ اصطفائه دون غيره من أبنية الصفة المشبهة، لتُستوحى الدلالة من جنس صياغتها، ولتدل على ذاتها بذاتها.

وعلاوة على ما ذكرت من سر صوغ الصفة المشبهة (صريخ) دون اسم الفاعل(مصرِخ)، فقد أقام الرازي موازنةً معنوية لطيفة بين (صريخ) وبين (مُنقِذ)، مفصحا عن مدلول تغاير بِنية الجملتين المتعاطفتين فقال:" فقوله: (لا صريخ لهم ولا هم ينقذون) فيه فائدة أخرى وهي أنه تعالى قال: (لا صريخ لهم) ولم يقل: ولا مُنقِذ لهم ؛ وذلك لأن من لا يكون من شأنه أن ينصر لا يشرع في النصرة مخافة أن يُغلب ويذهب ماءُ وجهه، وإنما يَنصر ويُغيث من يكون من شأنه أن يُغيث فقال:(لا صريخ لهم)، وأما من لا يكون

---

[1] النكت٥/٢٠، وينظر: القرطبي ١٧/٤٥٥، فتح القدير ٤/٤٩١،٤٩٠

[2] يقول ابن جني في الخصائص :" في المبالغة لابد أن تترك موضعا إلى موضع إما لفظا إلى لفظ وإما جنسا إلى جنس، فاللفظ كقولك:عُراض، فهذا قد تركت فيه لفظ عريض، فعُراض إذا أبلغ من عريض..."٣/٤٦

من شأنه أن يُنقِذ؛ إذا رأى من يعِز عليه في ضرّ يَشرع في الإنقاذ، وإن لم يثق بنفسه في الإنقاذ ولا يغلب على ظنه، وإنما يبذُل المجهود، فقال: (وَلاَ هُمْ يُنقَذُونَ) ولم يقل: ولا منقذ لهم "[1]

رابعا: التحليل الصوتي للمشتق: (صَريخ) في ضوء السياق العام

أسلفت تحليل أصوات (الصاد والراء والخاء) وفق انقسام الدراسة الصوتية إلى: علم الأصوات الفوناتيكي حيث وصف مخارج كل صوت وصفاته، وعلم الأصوات الفونولوجي حيث استجلاء دلالات الأصوات مفردة ومجتمعة وربطها بالمعنى الوضعي .

والذي يعنيني هنا تأمل وظائف الأصوات الثلاثة وأبعادها المعنوية التي توحي بها في ضوء السياق؛ ذاك أن السياق العام للآيات هو سياق تمنن ببيان آيات الله العجيبة حسيةٍ ومعنوية تنبيها وزجرا لمشركي مكة، لكن الآيات لم تنفعهم بل هم عن كل آية معرضون هذا هو الحال؛ لذا جاء السياق موضع الشاهد:(وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ...)يحيطه التهديد والوعيد لهؤلاء الكفرة؛ وسياق الوعيد عامة يتنادى والأصوات ذوات الجرس الصاخب، التي تسترعي الأسماع، وتثير الانتباه لاسيما الصاد بصفيرها واستعلائها وإطباقها وإصماتها، والراء بجهرها وتكرارها.

وفي السياق اللغوي للآية قد نفى وجود الصريخ المُغيث، والمفردة –كما أسلفنا– من المتضادات التي تدل على معنى المستغيث والمغيث، فجاءت الأصوات الثلاثة في سياق نفي عموم جنس الصريخ عند إغراق الله؛ لتوحي بانعدام الصوت من المستغيث حيث تحقق القُنوط من نجاته، وانعدام الإغاثة

[1] مفاتيح الغيب ٨٢/٢٦

من المغيث الذي ينادي ويصرخ للمستغيث، فلا الأول تبلغ استغاثته أحدا، ولا أحدَ قادر على إغاثته والوصول إليه، فجاء وقعُ الأصوات الثلاثة في المشتقة (صريخ) مع سياق النفي ليطوي مشهد هذا الغريق دون نجدة متوقعة، "فياله من موقف خاسر، وجهد بائر، فلا سماع حتى لصوت الاستغاثة، ولا إجارة مما وقعوا فيه."[1]

[1] الصوت اللغوي ص١٦٦

المبحث الثاني: مشتقات الصرخ في سياق الاستغاثة

جملة المواضع التي ستتم معالجتها تحت هذا المبحث موضعان، وقد تكرر فيهما الصرخ مرتين في سورتي القصص وفاطر.

الموضع الأول:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ ... ﴿١٥﴾ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ ﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ... ﴿١٩﴾ ﴾

موضع الشاهد:

يَسْتصْرخُه في جملة: ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾

السياق الخارجي(سياق الموقف):

قصّ موقف حدث مع سيدنا موسى، عندما كان في فتوته شابا ثلاثينيا قويا ، وقد عقِل وآتاه الله الفقه والعلم ، وأخذ يتكلم بالحق ويُنكر على فرعون وقومه دينهم وعلوّهم وطغيانهم، واشتهر ذلك من موسى وفشا حتى أخافه فرعون وقومه وخافهم، فكان لا يدخل عليهم مدينتهم من أرض مصر إلا وقتَ القائلة حذرا مستخفيا مغتفلا للناس، فدخلها مرة فوجد رجلين يختصمان ويتنازعان أحدهما من بني إسرائيل، والآخر قبطي من قوم فرعون، فحدث ما حدث مما استفدناه من السياق اللغوي للنص القرآني؛ إلماعا إلى الموازين الحقيقية للقوى، وبناءً للقلوب، وإنذارا وتهديدا لمشركي مكة.[1]

الجو العام:

تدور أحداث هذا المشهد في جو من الخوف والقلق الذي يُحيط بسيدنا موسى من فرعون وقومه، مع ترقب مفزِع وتوقع للشر في كل حركة من أنْ يُطالب بدم القبطي الذي قتله.

السياق اللغوي لنظم الآية:

أولا: مناسبة السياق لما قبله

آيات المقطع تدور في فلك قصّ القرآن نبأَ موسى-عليه السلام- مع فرعون، مذ مرحلة مولد موسى ، ثم مرحلة فتوته وتآمر فرعون عليه، ثم

[1] ينظر: جامع البيان ١٨٣/١٨ وما بعدها، التفسير البسيط ٣٥٢/١٧ وما بعدها، معالم التنزيل ١٩٦/٦ وما بعدها ، نظم الدرر ٢٣٥/١٤ وما بعدها ، الدر المنثور ٤٣٦/١١ وما بعدها

مرحلة النداء والتكليف بالرسالة، وأخيرا مواجهة فرعون وملئه وتكذيبهم لموسى وهارون، وعاقبتهم التي أعدها الله لهم.

ثانيا: التحليل التركيبي للجملة موضع الشاهد في ضوء السياق العام ودلالته:

يمكن تحليل البنية التركيبية للجملة موضع الشاهد: (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) من خلال محورين:

المحور الأول: التحليل التركيبي للجملة في ضوء جمل المقطع القرآني

ويمكن تناول هذا المحور عبر مرحلتين:

الأولى: توصيف البنية التركيبية للجملة شكلا ووظيفة

أ- **من حيث الشكل:** الجملة اسمية، مكونة من مبتدأ هو اسم موصول:(الذي) وخبر هو جملة: (يستصرخه)، وبينهما صلة الموصول: (استنصره)، ومتعلقان به: (بالأمس)[1].

ب- من حيث الوظيفة: الجملة من الوحدات النحوية التركيبية الخبرية؛ ومن ثم فهي باعتبار الخبر والإنشاء: جملة خبرية، وباعتبار الإثبات والنفي: جملة مثبتة.

[1] ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد ١٢٧/٥،التفصيل في إعراب آيات التنزيل ٨٨/٢٠

الثانية: العلاقات السياقية بين بنية الجملة موضع الشاهد، والبِنى الأخرى شكلا ووظيفة:

أ-من حيث الشكل: توزعت جمل المقطع القرآني بين الاسمية والفعلية[1]، وكان جلها جملا فعلية تدل على تجدد المعنى وحدوثه وإنشائه شيئا بعد شيء؛ تناسبا مع الأسلوب القصصي الذي يقوم بطبيعته على تجدد الأحداث وتتابعها.

والجملة موضع الشاهد: (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) جملة اسمية تثبت استصراخ الرجل بسيدنا موسى، وقد جاء خبر الجملة الاسمية فعلا مضارعا: (يستصرخه)، والجملة الاسمية "إذا كان خبرها اسماً فقد يقصد بها الدوام والاستمرار الثبوتي بمعونة القرائن، وإذا كان خبرها مضارعاً فقد يفيد استمرارا تجدديا"[2]؛ فالجملة هنا تدل على استمرار تجدد الاستصراخ والاستغاثة الناجم عن تجدد المشاكسة في طبع الإسرائيلي على وجه يتعذر عليه دفع خصمه عما يبتغيه من إيذائه.

---

[1] حيث بلغت جمل المقطع سبعا وأربعين جملة، منها عشر جمل اسمية هي على الترتيب: (هذا من شيعته-هذا من عدوه-هذا من عمل الشيطان-إنه عدو...إني...-إنه...-هو الغفور...-فإذا الذي استنصره-إنك لغوي مبين-هو عدو لهما) ، وبقيتها جمل فعلية. راجع ما أسلفته في الموضع الأول من المبحث السابق من بيان الفرق بين دلالة الجملة الاسمية والجملة الفعلية.

[2] الكليات للكفوي، فصل في المتفرقات ص١٠١٠، وانظر أيضا:البلاغة فنونها وأفنانها-علم المعاني د.فضل حسن عباس ط.دار الفرقان للنشر والتوزيع،الرابعة ١٩٩٧م ص٩٢،٩٣

وقد جاءت الجمل الاسمية ضمن هذا السياق القصصي السارد للأحداث لتقرر أمورا وحقائق ثابتة لا تتغير: ككون الإسرائيلي المستغيث من شيعة سيدنا موسى، وكون الآخر من عدوه، وكون الشيطان عدو مبين، ومغفرة الله، ووعد موسى ربه بعدم نصرة المجرمين، وغواية الرجل...إلخ الجمل الاسمية الدالة على الثبوت.

ب-من حيث الوظيفة:

- باعتبار الخبر والإنشاء:

الجملة موضع الشاهد خبرية، والجمل الأخرى في المقطع القرآني في عمومها خبرية[1]، وغلبة الجمل الخبرية لا الإنشائية يتناسب مع أسلوب سرد الأخبار الذي بنيت عليه قصة سيدنا موسى مع الإسرائيلي والقبطيّيْن، وتناسبا مع قص أخبار الأمم السابقة على مع متلقين أخلاء الذهن؛ أي أن الجملة الخبرية هنا ظهرت في شكل سرد.

- باعتبار الإثبات والنفي:

أما إثبات الجملة موضع الشاهد فهو الغالب أيضا على القصة[2]، وغلبة الجمل المثبتة وتتابعها يتناغم مع الأسلوب القصصي الذي يسرد في الأصل أحداثا ثابتة، ولا ينفي شيئا إلا لعلة يستدعيها المقام، وفي الإثبات كثير من الجزم والحسم واليقين.

---

[1] يستثنى منها خمس جمل إنشائية :(رب إني...-فاغفر لي- رب بما ...- يا موسى- أتريد).

[2] حيث لم ترد في المشهد القرآني كله على طوله إلا ثلاث جمل منفية: (فلن أكون...- إن تريد إلا أن تكون...- وما تريد...).

المحور الثاني: مظاهر الترابط التركيبي والدلالي للجملة موضع الشاهد

في الجملة موضع الشاهد مظهر من مظاهر الترابط، وبينها وبين الجمل الأخرى في المقطع مظاهر كثيرة للترابط والتماسط النصيّ، وبيان كلٍّ فيما يأتي:

مظهر الترابط التركيبي على مستوى الجملة موضع الشاهد ودلالته:

قد تحقق هذا الترابط التركيبي للجملة عن طريق حرف الجر:

- **الربط بحرف الجر(الباء) ودلالته:**

حروفُ الجر وسيلة من وسائل إثراء ترابط النص وتماسكه؛ ولا غرو فهي دوما مرتبطة بغيرها تركيبيا ومعنويا ؛ لذا يُستقى معناها من خلال نمطية النصّ الذي ترد فيه.

وحرف الباء في الجملة موضع الشاهد حقق وظيفتين، الأولى: وظيفة تركيبية في أنه متعلق بالفعل قبله(استنصر) ويعمل الجرّ فيما بعده. والثانية: وظيفة دلالية في أنه يفيد معنى الظرفية فيكون بمعنى: في ، والمقصود: الذي استنصره في اليوم الذي قبل يوم الاستصراخ.[1]

[1] ينظر: رصف المباني ص١٤٥، الجنى الداني ص٤٠

مظاهر الترابط التركيبي بين الجملة موضع الشاهد وبين الجمل الأخرى ودلالته

من أهم وسائل الربط التركيبي بين الجملة موضع الشاهد وبين الجمل الأخرى داخل المقطع القرآني ثلاث وسائل هي: ١-العطف ٢-إذا الفجائية ٣- الإحالة.

١ - الربط بالعطف ودلالته

سبق أن ذكرنا أن العطف وحدة نحوية إفرادية تؤدي وظيفة تماسك النص وترابط تراكيبه ومفرداته؛ إذ إنها تعطف بين المفردات والجمل، ولحرفي العطف: الواو والفاء حضورٌ في المقطع القصصي من بدايته إلى نهايته بلغ إحدى وعشرين مرة؛ مما يسهم في التنوع الدلالي بتنوع أداتي العطف، وهذا العدد "يعكس حضور هذا العنصر الترابطي في النص مما يتناسب مع الأسلوب القصصي الذي يقوم بالأساس على سرد وحكي الأحداث"[١].

والجملة موضع الشاهد:(فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) معطوفة على الجملة قبلها: (فأصبح في المدينة خائفا يترقب)، وحرف العطف المستخدم هو الفاء الدال على الترتيب والتعقيب والسببية[٢]، إذ إن موسى لما أصبح في اليوم الثاني خائفا من جنايته أن يؤخذ فيُقتل بها، وبسبب أنه يتحسس الأخبار ويترقبها في مدينة فرعون مرّ فوجد الإسرائيلي

[١] ينظر: مظاهر التناسب الدلالي والترابط النصي ص١٥١

[٢] راجع ملخص ما أوردتُه قبل ذلك في دلالة العطف بالفاء نقلا عن كتابَيْ:رصف المباني، والجنى الداني.

الذي خلّصه بالأمس يقاتل قبطيا آخر، فبمجرد أن رأى الإسرائيليُّ موسى صاح به مستغيثا أيضا على القبطي الآخر.[1]

هذا وقد تكرر العطف بـ (الفاء) في المقطع بكثافة حتى بلغ اثنتي عشرة مرة مقابل تسع مرات فقط للواو التي هي أم باب العطف، ودلالة هذا سرعة الأحداث زمنيا وتواليها وتعاقبها لاسيما وقت مصارعة الإسرائيلي للقبطين واستعانته بموسى تأمل:(فوجد فيها رجلين–فاستغاثه–فوكزه–فقضى–فأصبح–فإذا الذي استنصره–فلما أن أراد..).

٢– الربط بإذا الفجائية ودلالته

(إذا) الفجائية للحال[2]. قال سيبويه: "وتكون للشيء توافقه في حال أنت فيها"[3]، وكأنها محضت الفعل المضارع (الخبر) للدلالة على الحال .

و(إذا) في سياق الجملة موضع الشاهد فجائية؛ أي تدل على معنى المفاجأة الآنيّة التي أصابت سيدنا موسى. يقول البقاعي:" (فإذا): أي ففجأه الذي طلب نصرته من شيعته بالأمس، يستصرخه ويطلب ما يزيل ما يصرخ

---

[1] الطبري١٨/١٩٣،١٩٢ ، الماوردي ٤/٢٤٣ ، المحرر الوجيز ٤/٢٨١

[2] وقد اختلف النحويون في(إذا) الفجائية على ثلاثة أقوال: الأول أنها ظرف زمان بمعنى الوقت والعامل فيه الخبر، والثاني: أنها ظرف مكان والعامل فيه الخبر أيضا، والثالث: أنها حرف فلا تحتاج إلى عامل، وأبطل المالقي ظرفيتها، وذهب إلى أنها حرف، وهو مذهب الكوفيين، وحُكي عن الأخفش، واختاره الشلوبين في أحد قوليه، وإليه ذهب ابن مالك، واستدل على صحته بثمانية أوجه. ينظر: رصف المباني ص٦٢،٦١، البحر المحيط ٨/٢١،٢٠، الجنى الداني ص٣٧٣ وما بعدها.

[3] الكتاب ٤/٢٣٢

بسببه من الضر من قبطي آخر كان يظلمه، وكان الحال مقتضيا أن ذلك الإسرائيلي يمكث مدة لا يخاصم أحدا خوفا من جريرة ذلك القتيل."[1]

والمفاجأة أصابت موسى بسبب أن الإسرائيلي تسبب في قتل رجل من مدة يسيرة، وقد أكد التركيب القرآني قرب زمن الاستنصار بقوله: (بالأمس) دون الاكتفاء بالحالة الفعلية الماضوية في(استنصر)، ورغم قرب الحادثة الأولى فإن الإسرائيلي يقاتل آخر، ويستعين بموسى عليه، وكان واقع الحال يَفرض على الإسرائيلي أن يظل زمنا لا يُخاصم أحدا بعدما تسبب في قتل نفس، وهنا مكمن المفاجأة.

وتعاونت أداة المفاجأة (إذا) مع أداة العطف(الفاء) للربط بين الجملة موضع الشاهد، والجملة التي قبلها، وترتيبا للأحداث وترقيا فيها.

٣- الربط بالإحالة ودلالته

ذكرنا أن إحكام الربط بين تراكيب النص في شكل اقتصادي بدلا من الطريقة الأصلية: (إعادة الذكر) يتطلب جملة من الروابط الإحالية، وقد تحققت الإحالة في المقطع القرآني بغزارة وبعناصر متنوعة هي على ترتيب كثرة استعمالها: الضمير/اسم الموصول/ اسم الإشارة...

وقد اعتمد النص القرآني في الربط بين الجملة موضع الشاهد: (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) وبين الجمل التي قبلها الإحالةَ بوسيلتين هما على ترتيب ورودهما في الجملة: اسم الموصول، الضمير، وبيانهما فيما يأتي:

---

[1] ينظر: نظم الدرر ٢٥٩/١٤، وقال ابن عاشور:إذا للمفاجأة أي: ففاجأه أن الذي استنصره بالأمس يستنصره اليوم.٩٣/٢٠

- **الإحالة باسم الموصول**

قد وردت الإحالة باسم الموصول في الجملة موضع الشاهد مرة واحدة في قوله: (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) والمقصود باسم الموصول: الإسرائيلي من شيعة موسى الذي كان قَتلُ القبطي بسببه، وهو المنصوص عليه صراحة قبل آيتين: (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته...)،والتعبير بالموصول عن الإسرائيلي قد استعمله القرآن قبل ذلك مقترنا بصلته من الجار والمجرور إفصاحا عن شخصية المستغيث: (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه).

وفي الجملة موضع الشاهد قد أسهمت قرينة السياق اللغوي من صلة الموصول، والجار والمجرور المتعلقين بها:(استنصره بالأمس) في كشف المعبَّر عنه أو المحال إليه بالموصول(الذي).

- **الإحالة بالضمير**

معلوم أن الضمير كلمة مجهولة الهوية تثير في ذهن المستقبل الرغبة في تذكر ما سبقها في النص؛ ليقوم بسد الفراغ الدلالي الذي تحدثه هذه الكلمة المجهولة وهو ما يعرف بعود الضمير[1]، ونمط الإحالة بالضمير عموما وضمير الغيبة خصوصا أشهر أنماط الإحالة المستخدمة في ترابط أي نص لغوي.

[1] ينظر: دور نحو الجملة في تفسير النص ص٢٥٨

وقد تحققت الإحالة في المقطع القرآني بضمير الغيبة البارز والمستتر ما يزيد على ثلاثين مرة، وهذا العدد من الإحالة يتناسب ونمط القصص القرآني المعتمد على السرد وتتابع الأحداث وحكايتها.

وقد استُعمِل ضمير الغيبة في الجملة موضع الشاهد مرتين:(استنصره- يستصرخه) والضميران يعودان إلى مرجع مذكور مطابق لهما لفظا وقصدا هو سيدنا موسى، وقرينة ذلك السياق العام للكلام؛ إذ إن الإسرائيلي طلب بالأمس نصرة موسى على القبطي، وهو يستصرخ موسى اليوم أيضا لينصره.

وعود الضميرين على سيدنا موسى؛ لأنه الشخصية المحورية في هذا المقطع، وفي السورة كلها؛ ولا غرو فقد أفصح ربنا في مطلع السورة عن مقصدها وعن شخصياتها المحورية فقال مخاطبا نبيه الخاتم الأمين: (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون...).

وهكذا تبدو في الجملة عناصر الإحالة من ضميري الغيبة واسم الموصول مجتمعة متناغمة مع الجمل الأخرى على سبيل الاقتصاد اللغوي والترابط السياقي للنص القرآني.

ثالثا: التحليل الصرفي للجملة موضع الشاهد في ضوء السياق العام

بتحليل موضع الشاهد: (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه)تحليلا مورفولوجيا ينتج لنا الوحدات الصرفية(المورفيمات) الآتية:

كلمة (فإذا) تتكون من المورفيمين الآتيين:

١- الفاء: مورفيم مقيد يشير إلى معنى العطف.

٢- إذا: مورفيم حر يدل على معنى المفاجأة.

كلمة(الذي) تمثل وحدة صرفية واحدة كما يأتي:

٣-الذي: مورفيم حر يدل من حيث العدد على الإفراد، ويدل من حيث النوع على التذكير.

كلمة(اسْتَنْصَرَهُ) تتكون من الوحدات الآتية:

٤- ن/ص/ر : وحدة صرفية حرة تؤدي وظيفة معجمية هي الدلالة على حدث النصر مطلقا دون أي قيد.

٥-الهمزة والسين والتاء: تمثل جميعها وحدة صرفية مقيدة، لتدل الصيغةُ الفعليةُ على معنى فرعي زائد عن المعنى الوضعي وهو هنا معنى الطلب.

٦-الهمزة وفتحة الصاد والراء: وحدة مقيدة تؤدي معنى الزمن الماضي، كما تدل على المفرد الغائب.

٧-فتحة التاء والصاد: وحدة مقيدة تدل على الحالة الفعلية، أو فكرة التعبير عن الفاعل وجودا أو عدم وجود، وتدل هنا على أن الفعل مبني للمعلوم.

٨-الهاء: وحدة صرفية مقيدة لاحقة تدل دلالات مختلفة، فهي من حيث العدد تدل على الإفراد، ومن حيث الحضور وعدمه تدل على الغيبة، ومن حيث النوع تدل على التذكير، كما تدل أخيرا على حالة المفعولية.

كلمة(بِالْأمسِ) تتكون من الوحدات الصرفية الآتية:

٩- الباء: مورفيم مقيد سابق دل على عامل الجر وعلى معنى الظرفية.

١٠- الـ : مورفيم مقيَّد يدل على معنى التعريف.

١١- أمس: مورفيم حر يدل على زمن اليوم الذي قبل يوم الاستصراخ.

١٢-كسرة السين: مورفيم مقيَّد يدل على أن الاسم في حالة جر .

كلمة(يَسْتَصْرِخُهُ) تتكون من الوحدات الصرفية الآتية:

١٣- الياء: هي ياء المضارعة المفتوحة، وهي وحدة مقيدة سابقة تؤدي معنى الزمن الحالي، كما تدل أيضا على المفرد الغائب.

١٤- ص/ ر/خ: مورفيم حر يدل على حدث مطلق وهو الصرخ.

١٥- السين والتاء: مورفيم مقيد يدل على معنى فرعي مقيِّد للصيغة وهو هنا معنى الطلب.

١٦- فتحة الياء وكسرة الراء: يمثلان معا وحدة واحدة مقيدة تُشير إلى الحالة الفعلية؛ أي أن الفعل مبني للمعلوم.

١٧- ضمة الخاء: مورفيم مقيد يدل على أن الفعل في حالة رفع.

١٨- الهاء: وحدة صرفية مقيدة لاحقة تدل من حيث العدد على الإفراد ومن حيث الحضور وعدمه تدل على الغيبة، ومن حيث النوع تدل على التذكير، كما تدل أخيرا على حالة المفعولية.

وبتحليل الوحدات الصرفية السابقة والوظائف التي تؤديها والدلالات المستنبطة منها في ضوء السياق فإنك تلمس الآتي:

*مجموع الوحدات الصرفية(المورفيمات) على مستوى الجملة، قد بلغ ثماني عشرة وحدة صرفية منها المقيد ومنها الحر، وقد أدت كل وحدة وظيفة معينة، وبعضها أدى أكثر من وظيفة، فهناك وحدة صرفية تؤدي وظيفة معجمية؛ أي أنها تدل على معنى وضعي كما في الوحدتين(١٤،٤)، وقد تشير إلى معنى نحوي كما في الوحدات (١٨،١٧،١٣،١٢،٩،٨،٦،١)

كما تؤدي معاني اشتقاقية كما في الوحدتين(٦،١٣)، وقد تؤدي معاني فرعية يطلق عليها معاني صيغ الزوائد كما في الوحدتين(٥،١٥)، وقد توضح الحالة الفعلية كما في الوحدتين(٧،١٦)، وقد تعبر عن فكرة التعيين كما في الوحدة(١٠)، وقد تعبر عن فصيلة العدد وفصيلة الجنس كما في الوحدات(٣،٨،١٨)، وقد تعبر عن فكرة الحضور(الغيبة) كما في الوحدتين(٨،١٨).

* مورفيمات أدوات الربط (الفاء–إذا–الذي–الهاء–الباء) قد سبق بيان دلالاتها في التحليل التركيبي.

* مورفيم الهمزة وفتحة الصاد والراء في(استنصَرَهُ) عبرت عن معنى المضي، لأن استنصار الإسرائيلي موسى كان في اليوم الذي قبل يوم الاستصراخ، وهو ما عضّده مورفيم الجار والمجرور والـ التعريف في(بالأمس)؛ الذي سيق مؤكدا قرب العهد بين منازعتي الإسرائيلي القبطيّيْن.

*مورفيم الياء في(يَسْتصرِخه) عبر عن الفعل المضارع ذي الدلالة الحالية الآنية، والذي يتعانق مع الدلالة الحالية لـ(إذا) الفجائية في صدر الجملة؛ فالقرآن يوازن بين حدثين متقاربين زمنيا يثيران استنكار وتعجبا، والمعنى: فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه (الآن).

*مورفيم فتحة التاء والصاد في الفعل الأول:(استَنصَره)، بإزاء مورفيم الياء المفتوحة وكسرة الراء في الفعل الثاني:(يستصرِخه) يدلان على وحدة البناء للمعلوم؛ والأفعال كلها في المقطع القرآني مبنية للمعلوم، تناسبا مع الأسلوب القصصي الذي يذكر الأحداث والقائمين بها، ويسردها كأنها مشاهدة رأي العين، مما يعكس صحة الأنباء وثبوتها.

*مورفيم (ن ص ر) يؤدي وظيفة معجمية وهي الدلالة على معنى النّصرة والإعانة، ومورفيم (ص ر خ) يدل على معنى الصُّراخ بما فيه من دلالة على الإغاثة والاستغاثة -كما سبق بيانه-، وفي هذا السياق إنما يدل على الاستغاثة.

*مورفيم الهمزة والسين والتاء في الفعل الأول(استنصره)، بإزاء مورفيم السين والتاء في الفعل الثاني (يستصرخه) تمثل وحدة صرفية هي وحدة التقييد(الزيادة) للدلالة على معنى إضافي على المعنى الوضعي، وتفصيل ذلك في الآتي:

لم يرد الفعلان على صيغة التجرد (نصره-يصرخه)، وإنما وردا - في هذا السياق- مزيدين على صيغة(استفعل) للدلالة على معنى زائد عن المعنى الوضعي، و"المعنى الذي يغلب على (استفعل) هو السؤال والطلب[1].

ودلالة الطلب لا يخلو منها الفعلان وفقا للسياق، إذ إن الطلب يقتضي إجابة، وقد أجابه سيدنا موسى في الموقفين، فوكزَ القبطي أولا عندما استغاثه الإسرائيلي، وفي الموقف الثاني أجاب استصراخَه أيضا -رغم تذمّره منه- عندما أراد موسى أن يبطش بعدوهما؛ فدلالة استفعل في الفعلين هو الطلب. يقول البقاعي:" الذي استنصره: أيْ طلب نصرته من شيعته بالأمس...، ويستصرخه: أي يطلب ما يزيل ما يصرخ بسببه من الضر من قبطي آخر كان يظلمه."[2]

---

[1] ينظر: المغني في تصريف الأفعال ص١٤٩

[2] ينظر: نظم الدرر ٢٥٩/١٤، ودلالة الفعلين على طلب النصرة هو ما ذهب إليه أيضا الرازي ٢٣٦/٢٤، والنيسابوري٣٣٣/٥، والخفاجي٦٨،٦٩/٧، والألوسي ٥٧/٢٠

وقد نوّه ابن عاشور إلى معنى إضافي للسين والتاء في(يستصرخه) فذكر أنهما يفيدان –علاوة على الطلب–المبالغة في الصراخ[1]؛ ومعنى المبالغة يتناسب والسياق، وهو أكثر توظيفا لزيادة المبنى، وأكثر تحديدا لمفهوم الاستصراخ.

لكن اللافت ما ذهب إليه بعض أهل التأويل من تفسير الاستصراخ بالاستغاثة[2]مُوحين بترادف الكلمتين، وما ذهب إليه آخرون من جعل الاستصراخ والاستغاثة والاستنصار بمعنى[3]، ولعل سبب ذلك هو سوق المفردات الثلاثة في موقفين متشابهين، وعلى وزن واحد –استفعل– يفيد معنى الطلب؛ فالمستغيث يصرخ طلبا للغوث، والمستنصر: يطلب النصرة والمعونة، والمستصرخ: يطلب ما يُزيل صُراخه.

وإذا أمعنت النظر في دلالات الجذر اللغوي للمفردات الثلاثة من مقاييس ابن فارس فستستبين الفرقَ الدلالي بينها، ودونك دلالات المفردات :

النون والصاد والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على إتيان خَيرٍ وإيتائه.

الغين والواو والثاء كلمة واحدة، وهي الغوث من الإغاثة وهي الإعانة والنصرة عند الشدة.

---

[1] التحرير ٢٠/٩٤

[2] راجع: الطبري١٨/١٩٣، النكت٤/٢٤٣، البيضاوي٤/١٧٤، فتح القدير ٤/٢١٧

[3] راجع:تفسير الواحدي١٧/٣٥٩، معاني الزجاج٤/١٣٧، الدر المصون١١/٤٤٢

الصاد والراء والخاء أُصيل يدل على صوت رفيع، من ذلك الصُّراخ.[1]

وبتأمل ما ذكره ابن فارس وما ذُكر حول المفردات الثلاثة في كتب الفروق اللغوية تستنتج الآتي:

الاستنصار: طلب الإتيان والحضور للتقوية والإعانة على العدوّ في دفع الضرر مطلقا صغر ذاك الضرر أو عظم، والاستغاثة: طلب الإعانة والنجاة عند الشدّة والضرر الجسيم. أي أن المفردتين من حقل دلالي واحد هو طلب دفع الضرّ. أما الاستصراخ فيعني: الاستنجاد والاستغاثة بانفعال وتصويت وصياح.[2]

وبتطبيق هذه المعاني المستفادة من فحوى الجذور وصيغها المزيدة، بمعونة سياق الحال والمقال في موقفي موسى مع الإسرائيلي تظهر لك دقة التعبير الإلهي، وتبصر أن سياق المقال يأخذ بعضه بحجز بعض تجسيدا لسياق الحال؛ حيث يستفاد الآتي:

---

[1] راجع على ترتيب الأبواب في المقاييس: كتاب الصاد، باب الصاد والراء وما يثلثهما، مادة ص ر خ ٣٤٨/٣ كتاب النون، باب النون والصاد وما يثلثهما، مادة (ن ص ر) ٤٣٥/٥، كتاب الغين- باب الغين والواو وما يثلثهما، مادة(غ و ث) ٤٠٠/٤

[2] راجع:الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تحقيق:محمد إبراهيم سليم ط. دار العلم والثقافة-القاهرة، د.ت ص١٨٩، الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة لابن مالك الطائي تحقيق د.نجاة نولي، ط.معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى-مكة المكرمة، د.ت- باب الإعانة ص٦٣،٦٤، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي تحقيق: محمد باسل السود، ط.دار الكتب العلمية-بيروت، الأولى ١٩٩٦م ١٨٣/٣٣٠،٤/٢، الكليات ص١١٤،٩٠٩

في الموقف الأول كان الإسرائيلي يطلب إعانة موسى ونُصرته مناديا إياه دون صُراخ، مما يعكسُ وجود موسى قريبا منهما؛ لذا جاء التعبير القرآني على معنى: **فوجد (أي: موسى)** فيها (أي: في المدينة) رجلين يقتتلان، (فأقبل عليهما في اهتمامٍ، فرآه الإسرائيلي)... فاستغاثه الذي من شيعته (أي: ناداه طالبا نصرته).

وفي اليوم الثاني –حيث الجملة موضع الشاهد– أصبح موسى خائفا مترقبا مَعنيا بأمر نفسه، والإسرائيلي أيضا فزع مغلوب في مشاكسته؛ **فلما وجد الإسرائيليُّ** موسى مشغولا بحاله، أراد جذب انتباهه فناداه بصوت مرتفع صائحا صارخا مستنجدا، فالاستصراخ إذا كما تدل كتب اللغة ويوحي السياق: "الاستغاثة مع صياح وصراخ."[1]

لذا جاء التعبير القرآني المحكم: (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) مستخدما إذا الفجائية التي تعكس حالة موسى من الانشغال بجُرمه في خوف وحذر، فلما صاح الإسرائيليُّ بشدة مناديا موسى، وصرخ صراخا بالغا، تفاجأ سيدنا موسى[2]، وكأن الإسرائيلي في اليوم الثاني هو الذي استدعى موسى من مكانه بصُراخه، بينما في اليوم السابق موسى هو الذي أقبل عليه.

---

[1] ينظر: معالم التنزيل ١٩٨/٦، البحر المحيط١٠٦/٧،إرشاد العقل السليم٧/٧، عناية القاضي٦٨،٦٩/٧

[2] ولولا هذا الصياح المبالغ فيه ما التفت إليه سيدنا موسى؛ إذ كان نادما على ما حدث مستغفرا ربه معاهدا إياه ألا يكون ظهيرا للمجرمين.

وعبر القرآن في الموقف الثاني عن حدث اليوم الأول بالاستنصار: (فإذا الذي استنصره بالأمس...)، ولا تعارض البتة بين الاستنصار والاستغاثة؛ إذ إن كلَّ طلبِ إعانة على العدو في أمر عظيم أو حقير يسمى استنصارا، فلفظ الاستنصار أعم وأشمل، لذا كان الأليق تنويع التعبير القرآني وعدم الإعادة.

وقد أثار التعبير القرآني بالاستنصار والاستصراخ في الجملة موضع الشاهد أحد الباحثين فقال: لكن السؤال لماذا عبر القرآن عن الإغاثة بالأمس بلفظة(استنصره) في حين عبر عنها في وقت الإغاثة الآني بلفظة(يستصرخه)؟ ثم أجاب قائلا:"وأزعم أنه لما أراد الله تعالى أن يخبر عن الإغاثة في وقت سبق وانقضى أخبر عنها بالنصرة لعدم تمكن الصوت عن التعبير عنها ولاستحالة تصويرها بالصوت والسماع؛ لأنها حالة وقعت وانتهت، لكن عندما يقع الحدث آنيا فإن الأليق التعبير عنه بالصوت بوصفه عاملا مهما لتشكيل الصورة المرئية والسمعية كون الحدث واقعا فعلا؛ لذا فإن إهمال الصوت في تشكيل معنى الفعل الواقع آنيا يشكل قصورا في إتمام المعنى وإكماله".[1]

ورأيه محتمل ولا يتعارض مع ما ذكرت، وإن كان ينقصه تعليلُ مخالفة العبارتين: (فاستغاثه) و(يستصرخه)، وقد ذكر ابنُ عاشور علة هذه المخالفة فقال: "والاستصراخ: المبالغة في الصراخ...وهو المعبر عنه في القصة

[1] الأنساق الدلالية للصوت اللغوي ص١٦٧

الماضية بالاستغاثة فخولف بين العبارتين للتّفنن"[1]، وما أسلفتُه بيانٌ لهذا التفنّن القرآني المبدع.

رابعا: التحليل الصوتي للمشتق: (يسْتصْرخُه) في ضوء السياق العام

بمراجعتك تحليل أصوات الصاد والراء والخاء مخرجا وصفة، فإنه يظهر لك بجلاء ذلك التعانق البديع بين النسيج الصوتي للفعل:(يسْتصْرخ)، وبين المعنى المستفاد منه في ضوء سياقي الحال والمقال.

أما الأصوات الثلاثة للمادة: (ص ر خ) فلا تخلو بداية من لوازم الوضوح والقوة والتكرار؛ بل تتميز بأنها أوضحُ سمعا وأوقعُ جرْسا وأقوى أثرا في أذن السامع– كما سبق بيانه في المبحث السابق–، وعلاوة على أصوات الجذر اللغوي فإن هذا النسيج: (**يَسْتصْرِخُ**) قد بلغ به التكرارُ مَداه والوضوحُ مُنتهاه؛ بما استهلّ به من الياء بتجددها واستمراريتها، يعقبها السين بصفيرها ؛ ليتجسد أمام ناظِرينا مشهد هذا الإسرائيلي المغلوب وهو يصرخ بشدة ويصيح بعنف مناديا على سيدنا موسى ليُخلصه من القبطي، وليس الاستصراخ هذا أول مرة، بل هناك استغاثة كانت بالأمس مع رجل آخر، وليس استصراخه مرة بل مرات ومرات، وكأن صوتَ استصراخه من وطأة الهزيمة كفيلٌ لإيقاظ النائم من رقدته وتنبيهِ الساهي من غفلته، حقا! " في قوله تعالى:(فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) طلب للنجدة في فزع، ومحاولة للإنقاذ في رهب، والاستعانة على العدو بما يردعه عن الإيقاع به، وما ذلك إلا نتيجة خوف نازل، وفزع متواصل، وتشبّث بالخلاص."[2]

---

[1] التحرير ٢٠/٩٤

[2] الصوت اللغوي في القرآن ص١٦٧،١٦٦

الموضع الثاني:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦ ﴾ ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾

موضع الشاهد: يَصْطَرِخون في جملة: ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا ﴾

السياق الخارجي(سياق الموقف):

الإخبار عن مآل الكفار الأشقياء وما ينتظرهم من جزاء بعرض مشهد من مشاهد العذاب يوم القيامة إنذارا لمشركي مكة ولكل ظالم جَحود لنعم الله تعالى.

"وثبت في صحيح مسلم عن أَبي سعيد قال: قال رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–: أمّا أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يَحْيَون، لكنَّ ناسًا، أو كما قال: تُصيبهمُ النارُ بذنوبِهم، أو قال: بخطاياهم، فَتُمِيتُهم إماتةً حتى إذا صاروا فَحْمًا أذن في الشفاعة، فجيء بهم ضَبَائرَ ضَبَائرَ، فَبُثُّوا على أهل الجنة، فقال: يا أهلَ الجنة أفِيضُوا عليهم فَيَنْبُتُون كما تَنْبُتُ الحِبّة في حَمِيلِ السّيْل".[1]

[1] ينظر: جامع البيان ٣٨٢،٣٨٣/١٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير تعليق: محمد حسين شمس الدين، نشر:دار الكتب العلمية–بيروت، الأولى ١٩٩٨م ٤٨٩/٦

الجو العام:

مناخ قاتل ومشهد مروع يرسم الهول ظاهرا للعيان؛ حيث جهنم نهِمة تميّز من الغيظ لا يتفلت منها أحد، والكفرة فيها بين فزَع وذعر واستسلام والتماس يصلون نارا كلما خبت زيد إيقادها، وكلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها ليذوقوا العذاب الذي هم فيه مبلِسون.

السياق اللغوي لنظم الآية:

أولا: مناسبة السياق لما قبله

لما ذكر الحق-عز وجل-أحوال أهل الجنة ومقرهم ومقالتهم وما أعده لهم من أنواع الثواب، عادل ذلك فأخبر عن حال أهل النار ومقرهم ومقالتهم وما أعده لهم من أليم العقاب؛ فقوله: (والذين كفروا...) عطف على قوله: (إن الذين يتلون...) بجامع التضاد على عادة القرآن من أن يشفع الترغيب بالترهيب.[1]

ثانيا: التحليل التركيبي للجملة موضع الشاهد في ضوء السياق العام ودلالته:

يمكن تحليل البنية التركيبية للجملة موضع الشاهد: (وهم يصطرخون فيها) من خلال مِحورين:

[1] وهذا على القول بأن الواو في: (والذين كفروا) عاطفة لا استئنافية. ينظر: مجمع البيان٨/١٨٩، الجامع ١٧/٣٨٧، حاشية القونوي١٦/٧٢

المحور الأول: التحليل التركيبي للجملة في ضوء جمل المقطع القرآني

ويمكن تناول هذا المحور عبر مرحلتين:

الأولى: توصيف البنية التركيبية للجملة شكلا ووظيفة

أ- **من حيث الشكل:** الجملة اسمية، مكونة من مبتدأ هو الضمير:(هم)، وخبر هو جملة: (يصطرخون)، والجار والمجرور(فيها) متعلقان بالفعل، والجملة:(هم يصطرخون فيها) معطوفة على جملة:(لا يُخَفف عنهم)[1].

ب- **من حيث الوظيفة:** الجملة من الوحدات النحوية التركيبية الخبرية؛ ومن ثم فهي باعتبار الخبر والإنشاء: جملة خبرية، وباعتبار الإثبات والنفي: منفية.

الثانية: العلاقات السياقية بين بنية الجملة موضع الشاهد، والبِنى الأخرى شكلا ووظيفة:

أ- **من حيث الشكل:** بلغت كل جمل المقطع عشرين جملة[2]، وكان جلها جملا فعلية تدل على تجدد المعنى وحدوثه وإنشائه شيئا بعد شيء؛ تصويرا

---

[1] ينظر: التفصيل في إعراب آيات التنزيل ٢٢/٢٥٠-٢٥٣

[2] بلغت عدد الجمل الاسمية- علاوة على الجملة موضع البحث-ثلاث جمل هي على الترتيب: (والذين...-لهم نار جهنم-ما للظالمين...) ، وبلغت الجمل الفعلية ست عشرة جملة هي: (كفروا-لا يُقضى...-فيموتوا- لا يُخفف...-نجزي...يصطرخون-ربنا – أخرجنا- نعمل...-كنا...-نعمل-نعمركم-يتذكرُ...-تذكرَ-جاءكم...-فذوقوا)

لصفة أهل النار وحالهم، فعذابهم يتجدد ولا يتوقف ويتلون ولا يبقى على حال، لا يَهلكون ولا يُخفف عنهم طرفة عين[1].

والجملة موضع الشاهد: (هم يصطرخون فيها) جملة اسمية، ومعلوم أن الجملة الاسمية موضوعة للإخبار بثبوت المسند للمسند إليه بلا دلالة على تجدد أو استمرار إذا كان خبرها اسما، أما إذا كان خبرها مضارعا فقد يفيد استمرارا تجدديا إذا لم يُوجَد داع إلى الدوام[2].

فإيراد الجملة الاسمية –كما يقول القونوي–لإفادة الدوام[3] ؛ أي دوام مقامهم في جهنم، تناديا مع الجمل الاسمية في مستهل المقطع: (والذين ... لهم نار جهنم)، وفي آخره: (ما للظالمين من نصير) للدلالة على ثبوت مصير الكفار ودوام انتفاء نصير لهم.

لكن الجملةَ اسمية الصدر فعلية العجز: (يصطرخون) مما يفيدُ تجددَ اصطراخ الكفار طيلة بقائهم في النار، فوجودهم في نار جهنم ثابت دائم لكن اصطراخهم متجدد حينا بعد حين ترجمةً لذواقهم العذاب.

---

[1] ومصداق ذلك قوله تعالى: (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب)النساء/٥٦

[2] الكليات، فصل الجيم ص٣٤١

[3] حاشية القونوي١٦/٧٤

- ويمكن التركيز على بعض الدلالات الفرعية للجملة الاسمية؛ أعني دلالة التوكيد:

جاءت الجملة الاسمية مقدما فيها المسند إليه هكذا: (وهم يصطرخون فيها) وتقديم المسند إليه لتقوية الحكم أو للقصر[1]؛ حيث تكرر إسناد الاصطراخ إلى الكفار مرتين؛ مرة بالضمير المنفصل(هم)، ومرة بالضمير المتصل(واو الجماعة)، لتؤكد العلاقة الإسنادية بين المبتدأ والخبر؛ أي تقوية إسناد الاصطراخ لهم، أو قصره عليهم.

وفي الضمير(هم)أيضا لفت للمصطرخين ذواتهم، وتنصيص عليهم، وتأكيد على اتصافهم بالاصطراخ وديمومتهم في ذلك الحال.

ب-من حيث الوظيفة:

- باعتبار الخبر والإنشاء:

الجملة موضع الشاهد خبرية، والجمل الأخرى في المقطع القرآني خبرية عدا أربع جمل[2]، وغلبة الجمل الخبرية يتناسب مع أسلوب وصف حقائق عن الأحداث الأخروية الغيبية، وتقريرها وبيانها، وفي هذا تناغم مع سياق الحال وسياق المقال الَّذَين يتعاونان على بيان الواقع الحقيقي المنتظَر للذين كفروا في دار الشقاوة زيادة في نكالهم؛ أي أن الجملة الخبرية هنا ظهرت في شكل وصف.

---

[1] السابق، الجزء والصفحة نفسيهما.

[2] وهي: (ربنا-أخرجنا-أولم نعمركم-فذوقوا)، وواضح لك أن جملة:(أولم نعمركم) إنشائية لفظا خبرية معنى؛ لأنه استفهام تقرير وتوبيخ.

- باعتبار الإثبات والنفي:

الجملة موضع الشاهد مثبتة تناغما مع غالبية جمل المقطع القرآني، فالجمل فيه مثبتة عدا أربع جمل[1]، وغلبة أسلوب الإثبات يتناغم مع الأسلوب الأسلوب الخبري الذي يسرد أحداثا ثابتة، ويخبر عن أمور واقعة، ولا ينفي شيئا إلا لفائدة معنوية تتطابق ومقتضى الحال.

والخبر المثبت في الجملة: (هم يصطرخون) غير مشعر في صدره بزمن معين، ومن ثم فهو يشمل كل زمن.

المحور الثاني: مظاهر الترابط التركيبي والدلالي للجملة موضع الشاهد

في الجملة موضع الشاهد قد تشكل المعنى الاتصالي أو الترابطي بين وحداتها، كما تحقق بينها وبين الجمل المتقدمة عليها في إطار النص القرآني.

مظاهر الترابط التركيبي على مستوى الجملة موضع الشاهد ودلالته:

قد تحقق هذا الترابط التركيبي للجملة عن طريق أداة الجر، وهاك البيان:

- الربط بجرف الجر(في) ودلالته:

أسلفنا أن حروف الجر-باعتبارها من حروف المعاني- تؤدي وظيفتين: أولاهما: تركيبية، والثانية: دلالية، وبناء على ذلك فحرف الجر(في) في الشاهد حقق الوظيفتين، الأولى: وظيفة تركيبية في أنها عاملة خفضا فيما بعدها، ومتعلقة هي ومجرورها بالخبر قبلها: (يصطرخون)، والثانية: وظيفة دلالية في أنها أفادت معنى الوعاء حقيقة، فالنار هي الوعاء الأبدي للكفار،

[1] وهي:(لا يقضى عليهم-ولا يخفف عنهم-أولم نعمركم-فما للظالمين...).

وعبر المرادي عن ذلك المعنى بالظرفية، وهو المعنى الأصلي لحرف الجر (في)[1].

مظاهر الترابط التركيبي بين الجملة موضع الشاهد وبين الجمل الأخرى ودلالته:

ترتبط الجملة موضع الشاهد بالجمل المتقدمة عليها داخل النص القرآني ربطا تركيبيا مباشرا بغير أداة من بينها: أداتا العطف والإحالة، وبيانهما في الآتي:

١- الربط بالعطف ودلالته

العطف من الوحدات النحوية الإفرادية التي تعمل على ترابط تراكيب النص وتآخيها، ولحروف العطف حضور في المقطع القرآني بدءا بأول جملة فيه إلى آخر جملة، وقد تكرر العطف بالواو خمس مرات، وبالفاء ثلاث مرات؛ مما يُسهم في تنوع أشكال الربط بين الجمل بتنوع أداة العطف ومعناها المستفاد من السياق.

والجملة موضع الشاهد: (وهم يصطرخون فيها) معطوفة بالواو على جملة: (لا يُخَفف...)، والواو العاطفة معناها الجمع والتشريك، وإن عطفتَ جملة على جملة لم يلزم التشريك في اللفظ ولا في المعنى، ولكن في الكلام خاصة، ليُعلم أن الكلامين فأكثر في زمان واحد أو في قصد واحد[2]. وهي هنا تدل على مطلق الجمع والتشريك في:

---

[1] راجع معاني حرف الجر في : رصف المباني ص٣٨٨ وما بعدها، الجنى الداني ص٢٥٠ وما بعدها.

[2] رصف المباني ص٤١٥، ٤١٠

اللفظ(الإعراب)؛ فالجملة موضع الشاهد لها حكم جملة: (لا يُخفف) المعطوفة عليها، وجملة: (لا يُخفف...) معطوفة على جملة: (لا يُقضى...) ولها حكمها، وجملة: (لا يُقضى عليهم) في محل رفع خبر ثان للاسم الموصول[1].

وأما الحكم أو المعنى: فالظاهر سوق الكلام قصد هدف واحد هو بيان حال أهل النار وصفاتهم.

وأما إفادة الواو معنى الترتيب، فقد اختلف النحاة حولها[2]، لكن الرازي نوه إلى أنه قد روعي فعلا الترتيب بين التراكيب الآتية: (لا يقضى عليهم...- ولا يُخفف عنهم...- وهم يصطرخون) فقال في لطيفة له: "راعى الترتيب على أحسن وجه؛ وذلك لأن الترتيب ألا ينقطع العذاب ولا يفتر؛ فقال: لا ينقطع ولا بأقوى الأسباب وهو الموت حتى يتمنونه ولا يُجابون، ثم لما بين أن عذابَهم لا يُخفف قال: (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا) أي لا يُخفف وإن اصطرخوا واضطربوا لا يخفِّف الله من عنده إنعاماً إلى أن يطلبوه بل يطلبون ولا يجدون، وقوله تعالى بعد ذلك:(ربنا أخرجنا) ترتيبه حسن وذلك لأنه لما بين أنه لا يخفف عنهم بالكلية ولا يعفو عنهم بين أنه لا يقبل منهم وعداً وهذا لأن المحبوس يصبر لعله يخرج من غير سؤال، فإذا طال لبثه تطلب

[1] راجع: التفصيل ٢٥١/٢٢ وما بعدها

[2] الواو العاطفة لا تعطي الترتيب عند البصريين، وعند الكوفيين تعطي الترتيب كالفاء. ينظر: رصف المباني ص٤١١، الجنى الداني ص١٥٨-١٦٠

الإخراج من غير قطيعة على نفسه، فإن لم يقده يقطع على نفسه قطيعة ويقول أخرجني أفعل كذا وكذا."[1]

وأرى الرازي يقوم على بصر بهذا المعنى، وكلامه-يرحمه الله-غني عن التعليق أو التوضيح.

٢- الربط بالإحالة ودلالته

عرفنا أن للإحالة عناصر كثيرة، وأن الوظيفة البارزة للإحالة هي: الاقتصاد اللغوي، حثا للسامع أو القارئ على البحث عن معنى كل عنصر داخل النص[2]، وقد تحققت الإحالة بوفرة في المقطع القرآني عن طريق الضمير البارز ثم المستتر، يعقبهما :(اسم الموصول) ثلاث مرات، و(اسم الإشارة)مرة واحدة، و(الـ) [3] التي للجنس النسبي مرة واحدة.

وقد اعتمد النص القرآني في الربط بين الجملة موضع الشاهد:(**هم يصطرخون فيـها**) وبين الجمل التي قبلها الإحالة بضمير الغيبة على النحو الآتي:

أ-ضمير الغائبين(هم)

---

[1] الرازي ٢٩/٢٦

[2] ينظر: الدلالة التركيبية في سورة الفتح د. حمدي صلاح الهدهد، مجلة العلوم العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود، العدد التاسع والعشرون، شوال ١٤٣٤هـ ص١٨٣

[3] المراد بـ(النذير): جنس الأنبياء فكل نبي نذير أمته. ينظر: البحر المحيط٣٠٢/٧، والـ تربط إذا كانت للجنس النسبي حيث يُعرّف بها الجنس، والمقصود إما عام للجنس كله، أو خاص لأحد أفراده، وهي في قوة ضمير الغائب. راجع: البيان في روائع القرآن ١٢٩،١٣٠/١

ب- واو الجماعة في(يصطرخون)

ج- هاء الغائبة(فيها)

والضمير يفتقر إلى مذكور يُعد مرجعا له فلا يتضح معنى الضمير إلا بواسطة ذلك المرجع، وشرط الإضمار أن يكون بين الضمير ومرجعه مطابقة في اللفظ والقصد بحيث لو عدنا بالإضمار إلى الإظهار لحصلنا على اللفظ نفسه وعلى المدلول نفسه[1].

والدليل على مرجع الضمائر في الجملة موضع الشاهد هو قرينة السياق اللغوي العام المتحدث عن مصير الكفار وحالهم في جهنم؛ بدءا من الجملة الأولى في المقطع وما يليها:(والذين كفروا - لهم نار جهنم...ولا يخفف عنهم من عذابها)، وإذا اختبرتَ عنصر المطابقة في القصد وفي اللفظ من خلال التركيب القرآني موضع الشاهد، سيتبين لك عود الضمير المنفصل (هم)، وكذا واو الجماعة إلى الذين كفروا، وعود ضمير هاء الغائبة إلى جهنم، يقول الطبري مفسرا مظهرا للضمائر:"هؤلاء الكفار يستغيثون ويضجون في النار..."[2] ؛ ومن ثم تتحقق المطابقة في القصد واللفظ دون أدنى لبس.

وإنما عدل عن كل اسم ظاهر: (الكفار-جهنم) للإحالة بالضمائر: (هم-يصطرخون-فيها) في الجملة موضع الشاهد تناسبا والحكاية عن المشاهد الغيبية يوم القيامة، فمقام الحكاية يقتضي ضمير الغائب، وعلاوة على ذلك فالإحالة بالإضمار أسلوب مقتصد يدفع السآمة، ويحرص على

---

[1] ينظر: البيان في روائع القرآن ١١٩/١

[2] الطبري ٣٨٣/١٩

الخفة، وقد أسهم في يسر معالجته نصّيًا قربُ المرجع بين الجملة الثانية ومعطوفاتها، ووضوح المعنى.

وأخيرا فإن العلاقات إذا اتضحت ولم يُحط بها اللبس، مع عودة الضمائر إلى أسماء قريبة منها ، وقِصَر الاعتراض بين المتعاطفين؛ فليس هناك مانع للإحالة بالإضمار، بل يقبح أحيانا إعادة الذكر .

ثالثا: التحليل الصرفي للجملة موضع الشاهد في ضوء السياق العام

موضع الشاهد جملة: (وهم يَصْطرِخون فيها)، وعند تحليل الجملة تحليلا مورفولوجيا ينتج لنا الوحدات الصرفية(المورفيمات) الآتية:

كلمة (وهم) تتكون من المورفيمين الآتييْن:

١- الواو: مورفيم مقيد يشير إلى معنى العطف.

٢- هم: مورفيم حر يدل –من حيث فصيلة الحضور–على ضمير الغائب، ومن حيث الفصيلة العددية وفصيلة الجنس يفيد معنى الجمع للمذكر.

كلمة(يَصْطَرِخُون) تتكون من المورفيمات الآتية:

٣- الياء: مورفيم مقيد سابق يُعرف بياء المضارعة، ويُؤدي معنى الزمن الحالي.

٤- فتحة الياء مع كسرة الراء: يمثلان وحدة واحدة مقيدة تدل على الحالة الفعلية؛ أي أن الفعل مبني للمعلوم.

٥- ص/ ر/خ: وحدة صرفية حرة تؤدي وظيفة معجمية هي الدلالة على حدث الصرخ.

٦- تاء الافتعال المبدَلة طاء: مورفيم مقيد يدل على معنى زائد على المعنى الوضعي لحدث الصرخ وهو هنا المبالغة، وسيأتي بيانه.

٧- الواو: تمثل وحدة صرفية دالة على الجماعة من ناحية، وعلى التذكير من ناحية أخرى، وعلى أن الفعل من الأفعال الخمسة من ناحية ثالثة، وعلاوة على ما سبق فواو الجماعة -وفقا للصناعة النحوية-تقوم بوظيفة الفاعل.

٨- النون: تمثل وحدة دالة على أن الفعل في حالة رفع.

كلمة(فيها) تتكون من الوحدات الآتية:

٩- في: وحدة صرفية حرة تدل على عامل الجر، ويفيد معنى الظرفية.

١٠- ها: وحدة صرفية مقيدة تدل على وحدات ثلاثة هي: الغيبة والإفراد والتأنيث.

وبتحليل الوحدات الصرفية السابقة والوظائف التي تؤديها والدلالات المستنبطة منها في ضوء السياق فإنك تلمس الآتي:

* مجموع الوحدات الصرفية (المورفيمات) على مستوى الجملة، قد بلغ عشر وحدات صرفية أدت كل منها وظيفة مستقلة، وبعضها أدى أكثر من وظيفة، فهناك وحدة صرفية تؤدي وظيفة معجمية كما في الوحدة (٥)، وقد تشير إلى معنى نحوي كما في الوحدات (١،٧،٨،٩)، وقد تؤدي معاني اشتقاقية تصريفية كما في الوحدة(٣)، وقد تؤدي معاني فرعية يطلق عليها معاني صيغ الزوائد كما في الوحدة(٦)، وقد توضح الحالة الفعلية كما في الوحدة(٤)، وقد تعبر عن فكرة العدد ، وكذا فكرة الجنس أو النوع كما في

الوحدات(١٠،٢،٧)، وقد تعبر عن فكرة عدم الحضور(الغيبة) كما في الوحدتين(٢،١٠).

* مورفيمات أدوات الربط (الواو–هم–واو الجماعة–في–هاء الغائبة) قد سبق بيان دلالاتها في التحليل التركيبي.

*مورفيم الياء في(يَصْطَرخون) عبر عن دلالة زمن المضارع من التجدد والحدوث حينا بعد حين، وسبق تفصيل ذلك في مظاهر تناسب بنية الجملة موضع الشاهد مع البنى الأخرى شكلا.

* مورفيم الياء المفتوحة وكسرة الراء في الفعل:(يصْطَرِخون) يدل على وحدة البناء للمعلوم، فالمصطرِخون المستغيثون معلومون، ومصيرهم معروف، وحالهم في نار جهنم يكاد يراه الجميع رأي العين، وهذا زيادة في نكالهم وإرهابهم ووعيدهم.

* ومورفيم (ص ر خ) يدل على معنى الصُّراخ بما فيه من دلالة على الإغاثة والاستغاثة –كما سبق بيانه–، وفي هذا السياق وبهذه الصيغة إنما يدل على الاستغاثة والاستنجاد.

* مورفيم تاء الافتعال المبدلة طاءً[1] تمثل وحدة صرفية هي وحدة التقييد(الزيادة) للدلالة على معنى الاجتهاد والمبالغة والتعمل في تحصيل

[1] الطاء تبدل باطرادٍ من تاء (افتعل) إذا كانت الفاء صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء، فتقول في (افْتَعَل) من الصبر :اصْطَبَرَ، وإنما أبدلت التاءُ للتباعد الذي بينها وبين الصاد والضاد والطاء والظاء، والتباعد الذي بين التاء وبين هذه الحروف أن التاء منفتحة منسفلة، وهذه الحروف مطبَقة مستعلية، مما يسبب الصعوبة والثقل في الانتقال، فأبدلوا من التاء أختها في المخرج ، وأخت هذه الحروف في الاستعلاء والإطباق. وهي الطاء. ==

أصل الفعل[1]؛ ذاك أن الاصطراخ مبالغة في الصراخ والمعنى: يتصايحون بجهد ويصرخون بشدة؛ استغاثةً بالله وجَأْرا إليه.

وقد بَنى التعبيرُ القرآني من (الصرخ) يفتعل، فقال: (يصطرخون)؛ دون التعبير بالمجرد (يصرُخون)، أو أي بناء مزيد آخر: (يتصَارخُون)؛ لأن صيغة(يصْطرخون) أبلغ، وفيها إشارة إلى أنهم يصرخون صراخا منكرا خارجا عن الحد المعتاد.[2]

==

ينظر: الممتع الكبير في التصريف لابن عصفور الإشبيلي ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ، الأولى ١٩٩٦م ص٢٣٨ وقد أطلق ابن جني في خصائصه ١٤١/٢ على الإبدال في هذا الموضع مصطلح الإدغام الأصغر ويعني به : (تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام).

وفي الآية معنا: (يصطرخون) على وزن يفتعلون؛ وأصله: يصترخون؛ لأنه بنى من الصرخ يفتعل وأبدلت من التاء طاء؛ لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والانطباق، ويوافق التاء في المخرج. ينظر: مجمع البيان للطبرسي ١٨٩/٨، البحر المحيط٣٠١/٧ ، وقد دعت إلى ذلك ضرورة صوتية هي تحقيق الانسجام الصوتي بين الصاد والتاء، فقلب الصوت الثاني(التاء) طاء؛ ليكون منسجما مع سابقه تقليلا للجهد العضلي في الأصوات المنطوقة وهو ما يسمى بالمماثلة.

[1] انظر هذا المعنى والمعاني الأخرى لصيغة افتعل في: المغني في تصريف الأفعال ص١٤٥-١٤٩

[2] ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة ٣٤/٣، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية ، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٦هـ ١٧٤٥/٥

وكأن ارتفاع أصواتهم بالصراخ ومشاركتهم جميعا فيه وتكرار ذلك منهم لا يكفي أن يعبر عنه بالفعل المجرد فيقال مثلا: (وهم يصرُخُون فيها) فجاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة في إيقاع الحدث.[1]

ولا شك أن الموقف الذي جاءت المفردة(يصطرخون) معبّرة عنه لا يمكن أن يقع مكانها لفظة أخرى أو بناء آخر يؤدي نفس الدور، أو يرسم نفس الصورة، وعليه نقرر أن كل بناء في القرآن مقصود لذاته فضلا على أن كل كلمة مقصودة لذاتها.[2]

رابعا: التحليل الصوتي للمشتق: (يصْطَرِخون) في ضوء السياق العام

سيتم تحليل أصوات اللفظ القرآني فونولوجيا؛ لبيان مدى تجسيدها للمعنى وتصويرها للمشهد على النحو الآتي:

١- تحليل الأصل الثلاثي(ص ر خ)

قد سبق تحليل الأصوات الثلاثة من حيث المخرج والصفة ومدى الوضوح السمعي؛ وبناء على ما سبق يمكننا القول بأن ثلاثتها لا تخلو من عوامل: القوة الصوتية + الوضوح السمعي + التكرار وهذه المعادلة تُجسد حال الكافرين في جهنم؛ حيث يكررون النداء على ربهم: (ربنا أخرجنا...) بصوت عال بل بمنتهى ما يقدرون عليه في مد الصوت، لكني أتساءل أهذا نداء؟! لا، بل هو صُراخ ونُواح مغلّف في شكل نداء.

---

[1] البيان في روائع القرآن ٢/٢٨٨

[2] الإعجاز في تناسق الصوت والمعنى في المفردة القرآنية في المفردة القرآنية إعداد: محمد رضا الحوري، رسالة دكتوراه في جامعة اليرموك بالأردن، ٢٠٠٣م ص١٩٦

وهل كنت تحس شيئا من هذا الصراخ المنبعث لو استخدم الجذر(د ع و) المكون لكلمة(يدْعُون)الهادئة الوديعة، بدلا من الجذر (ص ر خ) المكون لكلمة (يصطرخون) الهادرة العنيفة؟![1] بالطبع لا، فأصوات (ص ر خ) تصور الذين كفروا وهم "يصيحون من شدة ما نابهم ، يحسبون أن رفع الأصوات أقرب إلى علم الله بندائهم، إظهارا لعدم إطاقة ما هم فيه.[2]

٢- تحليل النسيج الصوتي لصيغة الفعل:(يصْطَرِخُونْ)

وهذا يكون ببيان الأثر الدلالي لتجاور صوتي الصاد والطاء خاصة، وتجاور الأصوات كلها عامة.

أ- الأثر الدلالي لتجاور الصاد والطاء خاصة: يتبين لك ذلك بتأمل الجدول الآتي:

الصوت	صفات القوة					النتيجة
الصاد	الإطباق	الاستعلاء	الإصمات	الصفير	-	مفخم/قوي
الطاء	الإطباق	الاستعلاء	الإصمات	الجهر	الشدة/الانفجارية	مفخم/قوي

إنك لتلحظ أثر الصاد والطاء في ترجمة مدى صُراخ الكفار؛ إذ إن صوت الصاد قد اشتمل على جلّ صفات القوة، واشتمل صوت الطاء على كل صفات القوة؛ ومن ثم فتجاورهما في النسيج الصوتي يعزز قوة الصراخ المنبعث من الكفار.

---

[1] ينظر بتصرف: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية د. عبد العظيم المطعني نشر: مكتبة وهبة-القاهرة، الأولى ١٩٩٢م ٢٦٣/١

[2] التحرير ٣١٨/٢٢

نعم قد قصد التعبير القرآني مجاورة الطاء للصاد المطبقة؛ لتتحول بالمجاورة إلى التفخيم فيكون في تفخيمها فضل مبالغة في إيقاع الفعل[١]، وهذه الدلالات الانفعالية ما كان لها أن تتحقق لو لم يزد صوت الطاء الذي يضيف معنى الشدة في استغاثة الكافرين؛ ليدل على صراخ قوي نابع من نفوس محطّمة بائسة.[٢]

وقد استوحى أحد الباحثين من إطباق الصاد والطاء معنى لطيفا يجسّد حال أهل النار فقال: إن الصاد والطاء بما فيهما من تفخيم وإطباق يصطدم فيه اللسان بأعلى الفم؛ يعبران تمام التعبير عن حال أهل النار الذين يحاولون الخروج منها، وهذا هو عين ما يصطرخون به: (ربنا أخرجنا)، فإذا بهم يجدونها مطبقة عليهم، تصطدم محاولاتهم وأصواتهم بجدرانها، فترتد إليهم خائبة.[٣]

ب-الأثر الدلالي للنسيج الصوتي عامة

ويتراءى لك ذلك عندما تقوم بالتحليل المقطعي للمفردة القرآنية وقفا هكذا: (يَصْـ/طَـ/رِ/خُونْ)- (ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ ص ح ح ص) "فتُبصر الوشائج القائمة بين مجاورة الصاد للطاء والراء والخاء وبين ما تقوم به من دور حسيّ يصور معالجة النار لأجساد الكفار؛ حيث تتلاقى دلالات التفخيم في كل من الصاد والطاء والخاء لتُعبر عن ضخامة الصراخ لأهل

[١] ينظر: البيان في روائع القرآن ٢/٢٨٨

[٢] دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم د. خالد قاسم بني دومي، جدارا للكتاب العالمي-عمّان ، الأولى٢٠٠٦م ص٢٣٥

[٣] ينظر: الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم د. عبد الحميد هنداوي، الدار الثقافية للنشر-القاهرة، الأولى ٢٠٠٤م ص٦١،٦٠

النار، كما تُعبر الراء بما لها من صفة التكرارية عن تكرر ذلك الصراخ واستمراريته، ويشارك في هذا حرف الواو بما له من صفة المد والهُويّ إلى غاية سحيقة؛ ليدل على طول هذا الصراخ، ثم تأتي النون في نهاية الكلمة معبرة بأنّتها الحزينة عن مدى الحسرة والخيبة التي يؤوب بها الكافر من هذا الصراخ الطويل الدائم العظيم الأليم."[1]

فتوالي الصاد والطاء، وتقاطر الراء والخاء جسّد لنا الصراخ في شدة إطباقه، وتراصف إيقاعه، أما الترنم بالراء المكررة مع الواو والنون في مقطع طويل مغلق: (رُونْ – ص ح ح ص) مثّل لنا رنّة هذا الاصطراخ المدوي واستمراره.[2]

٣- الجرس الصوتي لصيغة الفعل وإيحاءاته

من سمات التعبير القرآني ومنهاجه في التناسق بين الصوت والمعنى أنه أحيانا يدل على معنى اللفظ عن طريق جرسه وصداه، ومصدر هذا الجرس وذلك الصدى بلا شك هو التشكيل الصوتي للكلمة أو التركيب، وجرس الكلمة موضع الشاهد: (يصطرخون):

* يمثل الموقف أدق تمثيل، فهو جرس غليظ صاخب ذو رنين خشن صاكّ، يكاد يخترق صماخ الأذن؛ ولا غرو فالصراخ المنبعث من نفوس تئن تحت وطأة العذاب صراخٌ عال مدوّ يختلط بعضه ببعض–بدءا

[1] ينظر: الإعجاز الصوتي د.هنداوي ص٦١، جماليات المفردة القرآنية د.أحمد ياسوف، دار المكتبي–دمشق، الثانية ١٩٩٩م ص٢٢٧،٢٢٦

[2] ينظر: الصوت اللغوي في القرآن ص ١٦٦ بتصرف كبير.

ونهاية–ويملأ المكان صخبا ورنينا؛ لتقف على بلوغ قلق الكفار المدى بكلمة تلائم نفسية الكافرين أدق ملاءمة وأبرعها.[١]

* يوحي بأن الصراخ قد بلغ ذروته، والاضطراب قد تجاوز مداه، والصوت العالي الفظيع يصطدم بعضه ببعض.[٢]

* يُخيّل إليك غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة، كما يلقي إليك ظلّ الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به أو يُلبيه. وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون.[٣]

وخلاصة التحليل الصوتي أن هذه المفردة(يصطرخون) بصيغتها وجرسها وشدة نطقها وثقله، وتقارب مخارج حروفها تترجم تلك الحالة النفسية التي يسودها صياح وصراخ واستغاثة وتضرع وبكاء ترجمة دقيقة بحيث تنقل إليك ما يدور في ذلك الموقف من ضجيج وانفعالات، فهي ترشد العقل إلى دلالتها، وتصور ما فيها من قوة في الانفعال والتحسر.[٤]

---

[١] ينظر: خصائص التعبير القرآني ٢٦٣/١

[٢] الصوت اللغوي في القرآن ص١٦٥،١٦٦

[٣] التصوير الفني في القرآن ص٩٢

[٤] ينظر: الإعجاز الفني في القرآن د.عمر السلامي، نشر:مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله–تونس ١٩٨٠م ص٩٢–٩٣

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على متمم الرسالات. وبعد

فإن التقسيم الذي تبنّته الدراسةُ في معالجة مشتقات الصرخ في ضوء سياقاتها في النسق القرآني، يمكن أن يمثل بداية لتصور بناء منهجية تحليلية تكاملية في استجلاء المشتقات ذات الأصل الواحد وتحليلها في نصوص القرآن الكريم؛ من خلال الانطلاق من تحليل البنية الكبرى (الجملة موضع الشاهد) في ضوء الوحدة الأكبر المتمثلة في النص القرآني إبرازا للعلاقات السياقية والدلالية بينهما شكلا ووظيفة وكشفا لأوجه التماسك النصيّ، ثم الانطلاق من نتائجها لتحليل البنية الصغرى أو المورفيمات، والانتهاء بالتحليل الصوتي للمشتقات .

هذا وقد أثمر اتباع هذا المنهج، وتمخّضت عن تطبيقه النتائجُ الآتية:

أولا: نتائج عامة

١- تمحور بناء الأصل الثلاثي لمادة(ص ر خ) في حقيقته الوضعية المجردة حول معنى الصوت مطلقا، وارتفاع الصوت والصياح خاصة. ودلت تقلباتُه الاشتقاقية حول معنيين متقابلين هما: الإغاثة والاستغاثة؛ ولم يخل المعنيان في سياقاتهما المختلفة من دلالة الصّياح الكامنة في الجذر الأصلي.

٢- تكررت مشتقات الصرخ في النسق القرآني خمس مرات في مواضع أربعة وفي سياقين مختلفين هما: سياق الإغاثة في موضعي إبراهيم ويس، وسياق الاستغاثة في موضعي القصص وفاطر.

٣- لم يخل سياق الموقف والجو العام في المواضع الأربعة من الفزع والرهبة والهول أو الترويع والتحذير والتهديد المغطّى بالخوف والقلق والترقب تعانقا مع استعمال مشتقات الصرخ.

ثانيا: نتائج التحليل التركيبي لمشتقات الصرخ شكلا ووظيفة:

١- بيْن كلمات الجملة الواحدة، وبين جمل المقطع القرآني الواحد من التآخي والترابط، ما جعل النسق القرآني وحدة بديعة متجانسة متآخذة الأجزاء متعانقة التراكيب.

٢- لاحت العلاقات السياقية بين بنية الجملة موضع الشاهد في كل موضع وبين البنى الأخرى متعانقة منسجمة من حيث الشكل: (الاسمية والفعلية)، ومن حيث الوظيفة: أي باعتبار الخبر والإنشاء، والإثبات والنفي، تحقيقا لوحدة السياق اللغوي في المقطع القرآني، وترجمة لملابسات السياق الخارجي.

٣- تكوّن بناءُ كل الجمل التي وردت فيها مشتقات(الصرخ) من الجمل الاسمية التي تُعد من أهم القرائن اللفظية المعينة في تحديد دلالة البنية التركيبية، وقد كان خبرها اسما في موضعي إبراهيم ويس: (ما أنا بمصرخكم-وما أنتم بمصرخي)-(لا صريخ لهم)، ليدل على الدوام والاستمرار الثبوتي في نفي الإصراخ، وقد كان خبرها مضارعاً في موضعي القصص وفاطر: (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه)-(وهم يصطرخون فيها) ليفيد بمعونة المقام استمرارَ تجدد الصرخ.

٤- سيقت مشتقاتُ الصرخ كلها في شكل وحدات نحوية تركيبية خبرية، تناسبا مع أسلوب قص الأخبار الغيبية للمخاطَبين أخلاء الذهن غالبا، وقد

ظهرت الجمل الخبرية في شكل سرد كما في موضعي القصص ويس، وفي شكل حِجاج كما في موضع إبراهيم، وفي شكل وصف كما في موضع فاطر.

٥- تنوعَ الأسلوب الخبري بين النفي والإثبات، ولكل منهما دلالاته، أما النفي فقد اختُص بسياق الإغاثة في موضعي إبراهيم ويس:(ما أنا بمصرخكم-وما أنتم بمصرخي)-(لا صريخ لهم) ليُفيد دوام انتفاء الإغاثة من النار ومن الغرق، وليقطعَ كلَّ احتماليات النجاة أمام المخاطَب في جميع الأزمان، وأما الإثبات فقد اختُص بسياق الاستغاثة في موضعي القصص وفاطر:(فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه)-(وهم يصطرخون فيها) ليفيد تقرير الاستصراخ وإثبات الاصطراخ على سبيل الجزم واليقين، وفي السياقين يتسق الأسلوب مع موقف المخاطَب من موضوع الحديث.

٦- زخَر النسق القرآني للوحدات النحوية موضع الشاهد بعناصر تماسك عديدة ووسائل ترابط متنوعة تمنع تفكك أواصر الكلام على النحو الآتي:[١]

أ- مظاهر الترابط التركيبي لكل وحدةٍ كبرى(الجملة موضع الشاهد) في المواضع كلها:

تمثلت في الوسائل الآتية: الربط بحروف النفي (ما -لا)، الربط بحروف الجر(الباء-اللام-في)، وقد فصّل البحث القول في دلالات كل أداة.

ب- مظاهر الترابط التركيبي بين الجملتين موضعي الشاهد في إبراهيم:

[١] وقد أفرزتْ هذه العناصر عن دلالات تناسبت مع المقامات ، وقد بسطتُ القول فيها في ثنايا البحث.

تمثلت في أساليب ثلاثة هي: العطف، والتكرار المعجمي، والتوازي التركيبي.

ج- مظاهر الترابط التركيبي بين الوحدة اللغوية الكبرى(الجملة)، وبين الجمل الأخرى:

تآزرت عناصر كثيفة لتحقيق نصّية النصّ القرآني في المواضع كلها على سبيل الاقتصاد اللغوي والخفة والتيسير وتتمثل في: الربط بالإحالة بـ(ضمائر الغيبة والتكلم والخطاب/اسم الموصول)، الربط بأداتين من أدوات العطف(الواو/الفاء)، الربط بإذا الفجائية.

ثالثا: نتائج التحليل المورفولوجي للكلمات المكوّنة للجملة موضع الشاهد

١- إن لبنية صيغ المشتقات أثرا كبيرا في بيان المعنى، ويظهر ذلك الأثر عند تحليل الصيغة وربطها بسياق المقال وسياق الموقف؛ فالسياقان كالبيئة الخصبة التي أنبتت هذه الصيغة واصطفتها دون غيرها.

٢- تناغمت مشتقات الصرخ تناغما بديعا مع سياقاتها الحاليّة والمقاليّة؛ فلا يمكن أن يقع مكان الصّرخ ومشتقاتِه بناءٌ آخر من مثل الصياح أو النداء أو الإغاثة أو الاستنجاد، وما كنا سَنُحسّ بهول الموقف لو قُيِّض لأحد هذه الألفاظ أن يحِلَّ مَحلّ الصرخ وصيغه، وهو ما اتضح لنا من خلال تطبيق أسلوب الاستبدال، مما يؤكد أنّ كلَّ بناء اشتقاقي في القرآن مقصودٌ لذاته.

٣- تنوعت مشتقات الصّرخ ما بين صيغ فعلية مضارعة مبنية للفاعل في موضعي القصص وفاطر هكذا: (يستصرِخ-يصطرِخ)، وصيغ اسمية في

موضعي إبراهيم ويس، إحداهما على صيغة اسم الفاعل(مُصرِخ)، والأخرى على صيغة الصفة المشبهة(صريخ).

٤- عند التحليل المورفولوجي للجمل موضع الشاهد في كل مقطع قرآني تبين لنا تكوّنها مُجمّعة من أهم الفصائل الصرفية في العربية: وهي فصيلة الجنس، العدد، التعيين، الحضور، الحالة الفعلية، الزمن، التعميم والتخصيص، الإطلاق والتقييد.

٥- اختلف مجموع الوحدات الصرفية على مستوى كل جملة باختلاف طول الجملة ووحداتها التي تتضمنها، فبينما احتوت أقل جملة على سبع وحدات صرفية في موضعي إبراهيم ويس، فقد احتوت أكبر جملة على ثماني عشرة وحدة صرفية كما هو في موضع القصص، وتوسطت الجملة في موضع فاطر بمجموع عشر وحدات صرفية.

٦- تنوعت المورفيمات بين المورفيمات الحرة Free morbhemes، والمقيدة Bound morphemes وكذا تنوعت بين المورفيمات السابقة واللاحقة، وقد أدت بعض المورفيمات وظيفةً واحدة، وبعضها أدى أكثر من وظيفة، فهناك وحدة صرفية تؤدي وظيفة معجمية؛ أي أنها تدل على المعنى الوضعي، وبعضها يشير إلى معنى نحوي، كما أدى بعضها معاني اشتقاقية تصريفية، وأدى البعض الآخر معاني فرعية يطلق عليها معاني صيغ الزوائد، كما قد توضحُ الوحدةُ الصرفيةُ الحالةَ الفعليةَ بين المعلوم والمجهول، وقد تعبر عن فكرة التعيين، وعن فكرة النوع، وكثير منها عبر عن فكرة العدد، وعن فكرة الحضور من تكلم أو خطاب أو غيبة.

٧- تعددت الدلالات المنبثقة عن الوحدات الصرفية في كل موضع، وقد تعرضتْ الدراسة لذلك. ومن أهم هذه الوحدات التي تُستوحى دلالتُها من جنس صياغتها:

أ- وحدة التخصيص وقد انبثقت عن هذه الوحدة- في موضعي سياق الإغاثة- صيغتان:

- صيغة اسم الفاعل(مصرِخ): التي تدل على الحدث والحدوث والقائم بالحدث، مما يوحي سياقيا بالإحباط التام من أن يغيث أحد الآخر.

- صيغة الصفة المشبهة(صريخ): وتدل -علاوة على الحدث وصاحبه- على الديمومة أو ثبوت نسبة الحدث إلى صاحبه على سبيل اللزوم.

ب- وحدة التقييد(الزيادة)، وقد انبثقت عن هذه الوحدة- في موضعي سياق الاستغاثة- صيغتان:

-صيغة استفعل(يستصرخه): وتدل على الطلب، وقيل: المبالغة في الصراخ.

-صيغة افتعل(يصطرخون):وتدل على المبالغة الشديدة والاجتهاد في الصراخ.

رابعا: نتائج التحليل الصوتي للصرخ ومشتقاته

١- أسفرت الدراسة الفوناتيكية لأصوات الصاد والراء والخاء بشقيها الفسيولوجي والإدراكي إلى أن ثلاثتها متباعدةُ المخارجة منسجمة التأليف، ووفق معيار القوة والضعف فإن صوت الصاد صوت قوي ومفخم تفخيما كليا في أي سياق يقع فيه، وفي كل من الراء والخاء صفتا قوة، وأما درجة

الوضوح السمعي فللأصوات مجتمعة جرس سمعي بارز بتأثير صوت الراء أولا والصاد ثانيا والخاء ثالثا.

٢- أكدت الدراسة أن من سمات التعبير القرآني ومنهاجه في التناسق بين الصوت والمعنى أنه أحيانا يدل على معنى اللفظ عن طريق بنائه الصوتي وجرسه الموسيقي، وبيان ذلك في الآتي:

أ-دلالة أصوات مادة(ص ر خ) على المعنى الوضعي:

- تعاونت الأصوات الثلاثة فسيولوجيا على ترجمة المعنى المعجمي للصّرخ، حيث يُستوحى الصياح الشديد من الصاد باستعلائها وإطباقها وإصماتها وصفيرها، كما يُستوحى استمرارُ الصياح وعلو الصوت من الراء بجهرها وتكرارها، وتتعاضد معهما الخاء بما تتصف به من استعلاء وإصمات.

- كما تآزرت ثلاثتها إدراكيا لتجسيد ارتفاع الصوت وبلوغه مدى بعيدا، لما تميزت به من وضوح سمعي؛ فصوت الراء المجهور أعلى أصوات العربية-بعد المصوتات- من حيث مدى الوضوح السمعي، وصوت الصاد ذو جرس سمعي عال لتفخيمه وصفيره وإطباقه، يعاونهما صوت الخاء باستعلائه؛ فاختيرت أصواتٌ تسترعي الأسماعَ وتُثير الانتباه تعبيرا عن المعنى وتعانقا معه.

- وعلاوة على ما سبق فقد سيقت الأصوات الثلاثة مُرتبة على سمت حدثِ الصّرخ المعبَّر بها عنه؛ فبينما يأتي صوت **الصاد** اللثوي الصفيري أولا؛ ليضاهي أول الحدث بمخرجه من مقدم اللسان مع اللثة العليا، وبصفيره المحاكي تعالى الأصوات وصخب النداءات، يأتي صوت **الراء** ثانيا؛

ليضاهي أوسط الحدث بجهره وتكراره حيث يطرق طرف اللسان مؤخر اللثة طرقات سريعة مما يحكي تكرار الصرخات وتوالي الصيحات، ثم يكون صوت **الخاء** ثالثا؛ ليضاهي آخر الحدث بمخرجه حيث يخرج من مخرج بعيد هو أقصى الحنك، وبصفاته الضعيفة التي ترسم صورة الصارخ في نهاية المشهد حيث أنهكه تكرارُ الصياح، فخفت صوته وغدا بعيدا لا يُسمع بُعدَ مخرج الخاء، ضعيفا ضَعف الصوت نفسه.

ب- دلالة أصوات مادة (ص ر خ)على المعنى السياقيّ في النسق القرآني:

- تناغمت أصوات المادة مع مشتقات الصرخ في سياقيها المتضادين: سياق الاستغاثة في موضعي القصص وفاطر، وسياق الإغاثة في موضعي إبراهيم ويس أيما تناغم؛ إذ لا يخلو السياقان من ظلال الشدة والفزع وهو ما تُترجمه قوة أصوات الصّرخ عموما، ولا يخلُوان من الصياح وارتفاع الصوت؛ حيث يتطلبه موقفُ المستغيث استنجادا، ويتطلبه أيضا موقفُ المغيث إخبارا وطمأنة، وهو ما تحكيه أصوات الصّرخ بما فيها من صفير وجهر ووضوح سمعيّ.

وأخيرا توصي الدراسةُ بمحاولة التوسع في تطبيق هذا المنهج على المشتقات ذات الأصل الواحد في النسق القرآني، وتكثيف الجهود في هذا المجال الخصب من مجالات الدراسات النصّية الحديثة.

كتبه

د. أحمد عبد الموجود معوض

الفهارس

أولا: ثبت بأهم المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية ، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف–السعودية، ١٤٢٦هـ

أثر السياق في دلالة الصيغة الصرفية في القرآن الكريم إعداد: مروة عباس حسن، رسالة ماجستير في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة ديالي–العراق ٢٠١٣م

أثر السياق في فهم النص القرآني د. عبد الرحمن بو درع، مجلة الأحياء–المغرب، العدد ٢٥، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان د.ت

أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق: محمد باسل السود، نشر:دار الكتب العلمية–بيروت، الأولى ١٩٩٨م

الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس مطبعة نهضة مصر د.ت

الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية د.سمير شريف إستيتية ، دار وائل للنشر–عمان، الأولى ٢٠٠٣م

الأضداد لقطرب تحقيق د. حنا حداد، ط.دار العلوم – السعودية، الأولى ١٩٨٤م

الأضداد في كلام العرب لأبي الطيب اللغوي تحقيق د. عزة حسن، ط. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الثانية ١٩٩٦م

الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم د. عبد الحميد هنداوي، الدار الثقافية للنشر–القاهرة، الأولى ٢٠٠٤م

الإعجاز الفني في القرآن د.عمر السلامي، نشر: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله–تونس ١٩٨٠م

الإعجاز في تناسق الصوت والمعنى في المفردة القرآنية إعداد: محمد رضا الحوري، رسالة دكتوراه في جامعة اليرموك بالأردن، ٢٠٠٣م

الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة لابن مالك الطائي الجياني تحقيق د.نجاة حسن نولي، ط.معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى– مكة المكرمة، د.ت

الأنساق الدلالية للصوت اللغوي–بحوث تطبيقية في القرآن الكريم د.عادل عباس النصراوي، ط. تموز بدمشق، الأولى ٢٠١٦م

أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام ناصر الدين الشيرازي البيضاوي ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، الأولى د.ت

الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، شرح د. محمد عبد المنعم خفاجي، نشر:دار الكتاب اللبناني–بيروت، السادسة ١٩٨٥م

البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض ط.دار الكتب العلمية–بيروت، الأولى ١٩٩٣م

بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، نشر دار الكتاب العربي– بيروت، د.ت

البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت

البلاغة فنونها وأفنانها–علم المعاني د. فضل حسن عباس، ط. دار الفرقان للنشر والتوزيع–الأردن، الرابعة ١٩٩٧م

البيان في روائع القرآن–دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني د.تمام حسان ، نشر: عالم الكتب–القاهرة، الأولى ١٩٩٣م

تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي تحقيق أ/عبد السلام هارون، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٩٤م

التحرير والتنوير لابن عاشور ط.الدار التونسية للنشر– تونس، ١٩٨٤م.

التفسير البسيط للواحدي، تحقيق: د. محمد الفوزان، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– الرياض، ١٤٣٠هـ

تفسير القرآن العظيم لابن كثير، تعليق: محمد حسين شمس الدين، نشر:دار الكتب العلمية–بيروت، الأولى ١٩٩٨م

تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ، طبعة:دار المنار –القاهرة، الثانية ١٩٤٧م

التفصيل في إعراب آيات التنزيل د.عبداللطيف الخطيب وآخران، ط.مكتبة الخطيب–الكويت، الأولى ٢٠١٥م

ثلاث كتب في الأضداد نشر د. اوغست هَفْنِر، ط. المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩١٢م

جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري تحقيق د.عبد الله التركي ط.دار هجر–الجيزة، الأولى ٢٠٠١م.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي تحقيق د.عبدالله التركي ط. مؤسسة الرسالة، الأولى ٢٠٠٦م.

جماليات المفردة القرآنية د.أحمد ياسوف، دار المكتبي– دمشق، الثانية ١٩٩٩م

الجنى الداني للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد فاضل، ط. دار الكتب العلمية– بيروت، الأولى ١٩٩٢م

حاشية الشهاب المسماه عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ط. دار صادر–بيروت، د.ت

حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد ضبط: عبدالله محمود محمد، نشر: دار الكتب العلمية–بيروت، الأولى ٢٠٠١م

الخصائص لابن جني تحقيق: محمد علي النجار ط. الهيئة العامة لقصور الثقافة– القاهرة، ٢٠٠٦م

خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية د.عبد العظيم المطعني، نشر: مكتبة وهبة–القاهرة، الأولى ١٩٩٢م

دراسات لأسلوب القرآن د.محمد عبد الخالق عضيمه، ط.دار الحديث– القاهرة، د.ت

الدر المصون للسمين الحلبي تحقيق د.أحمد الخرّاط ط. دار القلم– دمشق، د. ت

الدر المنثور في التفسير بالمأثور تحقيق د. عبد الله التركي وآخرين ، دون طبعة، الأولى ٢٠٠٣م

دلائل الإعجاز تعليق: محمود محمد شاكر، ط.مكتبة الخانجي–القاهرة، د.ت

دلالات التراكيب دراسة بلاغية د. محمد أبو موسى نشر: مكتبة وهبة– القاهرة، الثانية ١٩٨٧م

الدلالة التركيبية في سورة الفتح د. حمدي صلاح الهدهد، مجلة العلوم العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود– السعودية، العدد التاسع والعشرون، شوال ١٤٣٤هـ

دلالة السياق، د. رَدّة الله الطلحي، رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية جامعة أم القرى–مكة المكرمة ١٤١٨هـ

دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق د. عبد الفتاح البركاوي، دار المنار–القاهرة، الأولى ١٩٩١م

دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم د. خالد قاسم بني دومي، جدارا للكتاب العالمي–عمّان، الأولى ٢٠٠٦م

دور نحو الجملة في تفسير النص منهج وتطبيق د.ليلى يوسف حميد، بحث منشور في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية – كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي تحقيق: أحمد الخراط، ط. مجمع اللغة العربية – دمشق، د.ت

روح المعاني للألوسي ط.دار إحياء التراث العربي- بيروت، د.ت

السبعة لابن مجاهد تحقيق د.شوقي ضيف ط.دار المعارف-مصر، د.ت

شرح التصريح على التوضيح للشيخ: خالد الأزهري تحقيق:محمد باسل عيون السود، نشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الأولى ٢٠٠٠م

الصوت اللغوي في القرآن د.محمد حسين الصغير ط.دار المؤرخ العربي-بيروت، الأولى ٢٠٠٠م

العربية معناها ومبناها د. تمام حسان، ط.دار الثقافة-المغرب، ١٩٩٤م

علم الأصوات د.كمال بشر، ط. دار غريب-القاهرة، ٢٠٠٠م

علم الصوتيات د.عبد العزيز علام، د. عبد الله ربيع، ط. مكتبة الرشد-الرياض، ٢٠٠٩

علم لغة النص النظرية والتطبيق د.عزة شبل، مكتبة الآداب- القاهرة، الثانية ٢٠٠٩م

عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ -معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم للسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل السود، ط.دار الكتب العلمية- بيروت، الأولى ١٩٩٦م

عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة د. عبدالعزيز أحمد علام، الأولى ١٩٩٠م

العين للخليل بن أحمد، تحقيق د. مهدي مخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دون طبعة، ودون تاريخ.

غرائب القرآن ورغائب الفرقان ضبط وتخريج: الشيخ زكريا عميرات، ط.دار الكتب العلمية–بيروت، الأولى ١٩٩٦م

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني، تحقيق د.عبدالرحمن عميره، دون طبعة، ودون تاريخ.

الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري تحقيق:محمد إبراهيم سليم ط. دار العلم والثقافة–القاهرة، د.ت

الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجَب الهمذاني تحقيق: محمد نظام الدين، ط.مكتبة دار الزمان–السعودية، الأولى ٢٠٠٦م

الكتاب لسيبويه تحقيق: عبد السلام هارون، نشر: مكتبة الخانجي– القاهرة، الثانية ١٩٨٢م

الكشاف للزمخشريُّ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض ط. مكتبة العبيكان– السعودية، الأولى ١٩٩٨م

الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية للكفوي ط.مؤسسة الرسالة، د.ت

لسان العرب لابن منظور، تحقيق:عبدالله علي الكبير وآخرون،ط.دار المعارف–القاهرة د.ت

مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، ط.دار العلوم–بيروت، الأولى ٢٠٠٥م

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ط.دار الكتب العلمية– بيروت، الأولى ٢٠٠١م

مدخل إلى علم لغة النص د. علي خليل حمد ، د. إلهام أبو غزالة، مطبعة دار الكاتب–مصر، الأولى ١٩٩٢م

مظاهر التناسب الدلالي والترابط النصي في قصة صاحب الجنتين د.حمدي الهدهد، دار دجلة ناشرون وموزعون– الأردن ، الأولى ٢٠٢٠

معالم التنزيل للبغوي، تحقيق:محمد النمر وآخرين ، ط.دار طيبة– السعودية،١٤١١هـ

معاني الأبنية في العربية د.فاضل السامرائي ط.دار عمار–الأردن، الثانية ٢٠٠٧م

معاني القرآن وإعرابه للزجاح تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ط.عالم الكتب– بيروت، الأولى ١٩٨٨م

المعجم المفهرَس لألفاظ القرآن الكريم وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي ط. دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٦٤هـ

المغني في تصريف الأفعال د.محمد عبد الخالق عضيمة، ط.دار الحديث بالقاهرة، الثانية ١٩٩٩م

مفاتيح الغيب للرازي ط. دار الفكر بلبنان، الأولى ١٩٨١م

مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، ط. دار الفكر– بيروت، ١٩٧٩م

مقدمة في علم أصوات العربية د. عبد الفتاح عبدالعليم البركاوي، نشر المؤلف، الثالثة ٢٠٠٤م.

الممتع الكبير في التصريف لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ناشرون– لبنان ، الأولى ١٩٩٦م

النحو والدلالة –مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي د. محمد حماسة عبد اللطيف ط.دار الشروق–القاهرة ،الأولى ٢٠٠٠م

نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا. للأزهر الزنّاد. ط. المركز الثقافي العربي– بيروت، الأولى ١٩٩٣م

النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ط.دار الكتب العلمية– بيروت، الأولى ١٩٩٨م.

نظم الدرر للبقاعي ط. دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، د.ت

النكت والعيون للماوَردي البصري تعليق: السيد عبدالمقصود عبدالرحيم، د.دار الكتب العلمية– بيروت، د.ت

نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد للشيخ: محمد مكي نصر، مكتبة الآداب– القاهرة، الرابعة ٢٠١١م